بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفرقان لمؤلفه محمد علي صالح غفاري .

سُمّيت هذه السورة بالفرقان لوجود هذه الکلمه في اولها. يقول الله تبارک و تعالي:

تبارک الذي نزّل الفرقان علي عبده ليکون للعالمين نذيرا...

و هذا دليل وجه تسمية اکثر السور. يسمي کل سورة بکلمة فيها او واقعة شاخصه. و بعض السور يسمي باسم انسان نزل لبيان حالة و حوادث المربوطة به، کسورة: يوسف، ابراهيم ، مريم و غيره. ظهر هذه التسميه اِمّا بتسمية النبي( صلی الله علیه و آله) او اصحابه او بتسمية الله تعالي. و لعل کلها سميت بتسمية النبي( ص ) و لم ينزل سورة من القران بتسمية الله تعالي الا سورة( الحمد ). سماه تعالي (المثاني )، يقول: و لقد اتيناک سبعا من المثاني و القران العظيم... فسمي الله تعالي الکتاب بالقران و الحمد بالمثاني، جعلها الله تعالي قبال القران و افردها بالذکر. کانّ الله تعالي انزل علي رسوله کتابين، احدهما القران و الثاني سورة الحمد. و لو کان سورة الحمد من سور القران لم يُفردها بالذکر کما لم يفرد ساير السور. و سماها ايضا( ام الکتاب )کما يقول: و انه في ام الکتاب لدينا لعلي حکيم...

فهارس ما يذکر الله تعالي في هذه السوره:

الاولي: يصف تعالي نفسه بالبرکه بقوله: تبارک الذي نزّل الفرقان علي عبده.... (من اية الاولي الي اية الثلاث )

الثاني: يذکر الکفار بانهم يظنون ان القران افک افتري رسول الله( ص )علي الله تعالي او يصفون بانها اساطير الاولين( الي اية السادسه )

الثالث: يحکي عن الکفار بانهم يقولون لم لايلقي عليه کنز او جاء معه ملک... (الي التاسعه )

الرابع: يصف الجنة و ما ينزل بالکفار من العذاب قبل الساعه ( الي احدي عشر )

الخامس: يصف بعض حالات الکفار في الجحيم ( الي عشرين )

السادس: يحکي عن الکفار قولهم علي رسول الله ص: لولا انزل عليه الملائکه... و ما يتعلق بذلك ( الي السادس و العشرين )

السابع: يذکر حسرة الکفار يوم القيامه و ما يتعلق بذلک ( الي الثلاثين )

التاسع: يحکي عن الکفار ما يعترضون علي رسول الله( ص )في قولهم: لو لا نزل عليه القران جملة واحده... ( الي الرابعة و الثلاثين )

العاشر: يذکر بعض ما يتعلق بقوم عاد و ثمود و فرعون ( الي التاسعة و الثلاثين )

الاحدي عشر: يعترض علي قوم بانهم لايعتبرون ما نزل من العذاب علي قوم لوط ( الي الرابعة و الاربعين )

الثاني عشر: معني( مدّ الظل )في قوله: کيف مد الظل.. ( الي السادسه و الاربعين )

الثالث عشر: يذکر فوائد الرياح و الامطار( الي الخمسين )

الرابع عشر: معني مروج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج ( الي الرابعة و الخمسين )

الخامس عشر: معني خلق السماوات في ستة ايام و استوائه علي العرش ( في التاسعه و الخمسين )

السادس عشر: معني بروچ السماء و سراجها و قمرها و معني جعل الليل و النهار خِلفه ( الي الثانية و الستين )

السابع عشر: يذکر بعض صفات المتقين( الي اخر السوره )

كلمة( التبارک )من باب التفاعل اخذت من البَرَکه و البِرکه و الَمبرک و المبارک و المبارکه، و منها: مبارک الابل، و هي مکان يبرک الابال فيه. يستعمل هذه الکلمه في موارد کثيره ، منها غدير يجمع فيه المياه يقال لها ( برکة الماء ). يجمع کل هذه الموارد معني واحده و هي منبع ينبع فيه من المواد و المنافع ما ينتفع به الناس .

فکل شيئ او شخص يبدء منه البرکات عن وجوده بعامل ذاتي او ارادي لا بعامل خارج عن ذاته فهو المبارك. فان مبادي النفع يکون علي قسمين: قسم منها يدّخر فيها المواد و المنافع ثم يستخرج منه کمثل الحياض يجمع فيه الماء ثم يستخرج منه، و مثلها اماکن او بيوت يجمع فيها مواد النافع ثم يستخرج فينتفع به. و قسم اخري کالعيون و المعادن ينبع منه المياه و الفلزات فينتفع به او کالاشجار يثمر الثمرات فيؤخذ منه. فالمبارک هي المبادي الثانيه لا الاولي. فکل شيئ او شخص ينبع منه المنافع و يبدء منه البرکات التي يحتاج الناس اليه مبارک. و مبارک الابل ما أنيخ فيه الابال تضع اثقالهم و احمالهم فيرجع اليه الناس ينتفعون به .

يصف الله تعالي نفسه بهذه الکلمه في موارد عديده. و في هذه الايه يقول:

الایه، 1- تبارک الذي نزّل الفرقان... ياتی بها من باب التفاعل ليعلم ان البرکات منه تعالي ليس علي سبيل المبادله بينه و بين عبيده. لان باب التفاعل تدل علي وقوع الفعل بين شخص او اشخاص علي سبيل الفاعليه کما ان باب المفاعله تدل علي وقوع الفعل بين الاشخاص علي سبيل المبادله، يفعل هذا لهذا ما يفعل هذا، کالمضاربه و المقاتله و غير ذلک. فلو قلت: تبارک زيد، دللت بذلک انه يبارک الناس، يفيض عليهم البرکات و لا يبارکه احد. و لو قلت: بارک زيدٌ عمرا، دللت بذلک ان زيدا يبارک غيره في حال ان الغير يبارکه. فيصف الله تعالي نفسه بالتبارک، يدلنا بذلک علي انه تعالي مبدء البرکات و مصدرها الي عباده. يبارک الناس و لا يبارکه احد من الناس. فيعرّف هذه البرکه بانه نزّ ل القران علي عبده. لان البرکات العلميه و التعلّميه من احسن البرکات و افضلها لانه مفتاح کل نعمة و برکة من برکات الله تعالي. کانّ النعم کلها جعلت في صندوق مقفل مجهول مکتوم علي الناس و العلم مفتاحه. لان الانسان لاينال شيئا الا بالعلم. فلو علم نعمة من نعم الله تعالي يطلبه فيناله و لو جهلها يترکه و لا يناله. فجعل الله تعالي مفاتيح العلم کلها بيد رسوله( ص )بهذه التنزيل و جعل الکتاب فرقانا يفرق به بين الحق و الباطل و بين اهل الحق و الباطل .

ثم انه تعالي يدلنا بهذه الايه و امثالها من اي القران بان رسالة رسوله( ص )يعمّ العالمين کلها. و العالمين جمع العالَم و العالِم لان( العالَم )يجمع علي( عوالِم )، و( العالِم )يجمع علي( عالمِين او عالِمون ). فاخذ في کلمة( العالَمين )علامة من العالَم و العالِم ليکون جمعا لهما. فالعلامة من العالَم فتح اللام و من العالِم الجمع بالواو و النون او الياء و النون. فهذه الکلمه جمع العالَم و العالِم. فيعمّ رسالة رسول الله( ص )العوالم و العالِمين و يؤيده قوله تعالي: و ما ارسلناک الا رحمة للعالَمين... فيعمّ رسالة رسول الله( ص )العوالم و اهل العوالم کلها و ان کان عمومية الرساله لايحتاج الي هذا التعميم و التوجيه لان العوالم اشياء و العلماء اشخاص، فيتبع الاشياء الاشخاص. ان الشيئ خلق للشخص و اذا کان رحمة الله تعالي ينزل علي الاشخاص ينزل علي الاشياء بالتبع و اذا کان غضبه تعالي يحل علي الاشخاص يحل علي الاشياء بالتبع. فاذا کان رسالة رسول الله( ص )يعم العلماء فيعم العوالم قطعا و لايحتاج الي توجيه اخري. فهو( ص )رسول الي ذوي العقول و غيرها في السماوات و الارض .

و الفرقان في هذه الايه و ساير الايات هي الحکم الفارق المفرّق بين الحق و الباطل. فانهما قسمان، تکويني و تشريعي. فالتکوين ما خلقه الله تعالي في العالم من الجمادات و النباتات و الحيوانات و کل ما خلق. فما کان او يکون او هو کائن حق. و الحق بمعني الموجود و الايجاد. فما اوجده الله تعالي حق، و ان لم يکن حقا لايجوز ان يوجد. و الباطل هناک هي الذي لم يرده الله تعالي و لم يخلقه، شائه او لم يشأه. فما اراده تعالي حق يخلقه و ما شائه علي قسمين. قسم يفعله و قسم لايفعله الله تعالي و يفعله الانسان. فما يفعله الانسان و لا يريده الله تعالي باطل من حيث انه تعالي لم يرده و لم يفعله بل اراده الانسان و فعله. فالحق التکويني ما اراده الله تعالي و فعله، و الباطل التکويني ما لم يرده تعالي و لم يفعله و ان فعله الانسان، کالمعاصي و الشرور. و القسم الثاني، الحق و الباطل في الجعل و التشريع. فکل ما احله الله تعالي من الطبايع و الحقايق حق خلقه الله تعالي و احله للانسان کمثل الطعام من الحبوبات و اللحوم من الانعام. و کذلک کل ما جوّزه الله تعالي من اعمال البشر من الحرکات و السکنات و الصنايع و ساير الافاعيل او کل ما امر الله تعالي ان يفعله کمثل العبادات و الدعوات. و الباطل هناک ما لم ياذن به الله تعالي او نهيه و ان فعله الانسان، کمثل الانصاب و الازلام و الخمر و غيرها من الاعمال الباطله. و الباطل في الاعمال بمعني عمل يعمله الانسان و نهاه الله تعالي. فهو باطل من حيث انه يضر و لاينفع. فهذا القران يفرق بين الحق و الباطل في التشريع و التکوين لانه خلق ما لايؤکل مثل الکلب و الخنزير فحرمه، و خلق ما يؤکل و ينفع فاحله. و قال: و یُحلّ لهم الطيبات و یُحرّم علیهم الخبائث...

و في الاية الثانيه يصف نفسه تعالي بان:

الایه، 2- الذی له ملک السماوات و الارض و لم یتخذ ولدا و لم یکن له شریک فی الملک و خلق کل شيئ فقدره تقديرا... و مثل هذه الايه( له ملک السماوات و الارض )مکررة جدا في القران، و في کل هذه الايات يصف نفسه بانه مَلک السماوات و الارض. و انت تعلم بان احداً لا يکون ملِکا الا بعد ان يملک ذوي العقول و غيرها. لان المُلک( كالفُعل و الفُعاله )خلاصة من کل فعل يظهر علي اعين الناس فيعرفونها، ک( الغسل )خلاصة ظاهرة من الغَسل و( البُشر )خلاصة ظاهرة من البشارة و النشاط في وجه الانسان، و کذلک( الاُنس )خلاصة من اَنِس يانس آنس و مانوس، يظهر به انسانية الانسان، يانس به غيره. و( الُملک )کذلک خلاصة ظاهرة من( مَلِک، يملک، مالک، و مملوک )،کانّ المالک مَلک ما يخلص و يظهر به مملوکاته. لان الانسان يملک الاشياء في ابتداء مالکيته ثم يتکامل في مالکيته فيملک الاشخاص. او نقول يملک الانسان في بدو مالکيته الاشياء من الجماد و النبات و الحيوان ثم يتکامل في مالکيته يقوي رشده و عقله فيملک ذوي العقول. و ذلک لان الطبايع المملوکة من الجماد و النبات و الحيوان يخلص بوجود الانسان کانه خلاصة کل شيئ في العالم، يظهر مملوکية کل شيئ بوجوده. فالانسان خلاصة من المملوکات ينقلب به مَلِکا و من ملک الانسان يکون مَلکا و مليکا مقتدرا فيملک بالانسان ما سواه من المملوکات. و لا يوصف احد بانه مَلک الا ان يملک ذوي العقول فيحکم عليهم .

فمن ملک الاشياء يکون مالکا و لا يکون مَلکا، و من ملک الاشخاص يکون ملکا و مالکا و له الملک. انه تعالي يصف نفسه بان له ملک السماوات و الارض. و هذه الايه دليل واضح علي ان في السماوات ذووا عقول کما في الارض، و في السماوات اشخاص و اشياء کما في الارض. فيملک الله تعالي ذوي العقول في السماوات و الارض و يحکم عليهم .

و ذلک لان السماوات جمع السماء، و السماء ان کان بمعني الفضاء التي فيها الکواکب و الشموس فهي في ذاتها جنس مفرد لا جمع له و لا تثنيه. يجب ان يقول الله تعالي: له ملک السماء و الارض. لان السماء جنس واحده و الارض کذلک، لا يصح ان يجمع احدهما دون الاخر الا ان يکون السماوات بمعني العوالم التي فوق الارض کالشمس و القمر و النجوم. فان هذه العوالم في السماء متعدده يصح ان يجمع علي السماوات. فالشمس و القمر و الکواکب سماوات متعدده. و يؤيده ايات اخري حيث يخبر الله تعالي عن الدّواب في السماوات و الارض يقول: و من اياته خلق السماوات و الارض و ما بث فيهما من دابه و هو علي جمعهم اذا يشاء قدير... فالدابة في الارض بمعني الانسان و ان کان يعم الحشرات و الحيوانات، لانه لا يجمع بين الحشرات و الحيوانات و الانسان و يجمع بين افراد الانسان. فاذا کانت الدابة في الارض بمعني الانسان کذلک الدابة في السماوات بمعني الانسان و الله تعالي يجمع بين الدواب من السماوات و الارض اي يحشر بعضهم مع بعض. فاذا کان في السماء دواب کما في الارض بمعني الانسان او اعم منها، يجب ان يکون فيها عوالم مثل الارض يخلق فيها الدواب و يعيش فيها. فيثبت بذلک ان السماوات بمعني العوالم المتعدده في السماء.

فان الله تعالي اذا اخبر عن سماء الارض ينزل منها المطر، ياتي بالسماء مفردة يقول: انزل من السماء ماء... فالسماوات في الايات بمعني العوالم في السماوات .لان الله تعالي کما خلق لنا ارضا نعيش فيها، کذلک خلق عوالم متعددة في السماء و خلق فيها مثلنا اناسي يعيش فيه و الله تعالي يملکهم فيکون له ملک السماوات و الارض و هو تعالي ملک لمن يکون في السماوات من ذوي العقول کما يکون ملکا لاهل الارض من ذوي العقول. فلو کان ما في السماوات من العوالم فيها غير ذوي العقول و هو تعالي يملکهم، لا يکون بذلک ملکا و ان کان مالکا.

ثم يخبر في اخر الايه بانه تعالي:

خلق کل شيئ و قدّره تقديرا... و التقدير بعد کلمة الخلق في هذه الايه و غيره من الايات بمعني تقدير الحياة و المعاش . لان قوله تعالي: خلق کل شيئ.. يخبر عن خلق المخلوقات، و لا يخلق مخلوق الا بالتقدير. انه تعالي يقدّر مثلا الانسان کيف يخلق و کيف يقدّر، خلق عينيه و اذنيه و خلق عظامه و لحومه. و التقدير في الخلق بمعني القواعد التي يخلق عليه الاشياء و الاشخاص. فيقال لها العلة الصوري. فانّ خلق کلشيئ معلول بالعلل الاربعه: العلة الفاعليه و العلة الغائيه و العلة الماديه و العلة الصوريه التي يصور بها الاشياء بارادة الله تعالي کما يقول: الذي خلقک فسويک فعدلک في اي صورة ما شاء رکبک.. او يقول: هو الذي يصورکم في الارحام کيف يشاء ...

و التقدير في خلق الاشياء بمعني تصوير کل شيئ علي قواعد معينه من الکم و الکيف. فيخبر الله تعالي في هذه الايه انه خلق کل شيئ، ثم يخبر بانه قدره تقديرا. فلو کان التقدير بمعني التصوير في الخلق يکون تکرارا و التکرار غير جائز مهما يمکن .

فيکون التقدير بعد الاِخبار عن الخلق بمعني تقدير المعاش و المعاد و ساير ما يحتاج اليه من العلم و الايمان. لان کل خلق من الخلائق يعيش بعد ان خلق. فيجب علي الله تعالي ان يقدر له وسائل العيش من الارزاق و مکان العيش علي وجه الارض. کذلک زمان العيش في مدة قدّر الله تعالي له ان يعيش و هذا کما يقال: العبد يدبر و الله يقدر... فالتقدير بمعني تنظيم المعاد و المعاش و هي من شئون ربوبيته تعالي . يربي الانسان و يزکيه فيعلمه ما يشاء من تدبير المعاش و المعاد و هذا کما يقول في اية اخري: الذي خلق کل شيئ ثم هدي... ذکر الهداية بعد الخلق و هي الهدايه الي ما يوفّق الانسان في امور المعاش و المعاد.

ثم يعرّض في اية الثالثه المشرکين من الناس بانهم يتخذون من دون الله اندادا مع انهم و ما يشرکون بربهم کلهم مخلوقون مربوبون و هذا من اعجب السفاهه من الانسان ان يکون خلقه و رزقه و تربيته و تقدير معاشه و معاده کله بيد الله تعالي ثم يتخذ غيره من هذا الخلق الضعيف الاها فيعبده. فيقول الله تعالي في بعض الايات متعجباً من کفر الانسان و شرکه: قتل الانسان ما اکفره... فکلمة ما اکفره مأخوذ من( ما افعله )للتعجب. أما يکون هذا من اعجب العجائب ان يعبد الانسان غيره ممن هو اضعف منه و اعجز؟ فيشکو الله تعالي من هذا العبد الذي اتخذ غيره ربا و هو يعلم ان من اتخذها الاها لا يملک لنفسها ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حیاتا و لا نشورا.

الایه، 3- و اتخذوا من دونه آلهة لا یخلقون شیئا و هم یخلقون و لا یملکون لانفسهم ضرا و لا نفعا و لا یملکون موتا و لا حياتا و لا نشورا.

ثم يحکي الله تعالي قول الکفار و عقائدهم في شان القران اذ يقولون افتري رسول الله ص علي ربه. يقولون القران منه او ممن يعلّمه من الجن و الانس. فيقول تعالي في ايات اخري: هو من عند الله و لو کان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً کثيرا.

و ذلک لانهم لايمکنهم ان يتفقهوا القران بانها ايات منزلة من السماء. فکيف يمکن للکافر الذي لا يتفقه من الله علما و لا يانس بشيئ مما هو من صنع الله تعالي او کلامه ان يتفهم القران بانه من الله تعالي او من غيره. و هذه الايه دليل علي ان الاعتقاد بالله تعالي امر فطري مرتکزة في طبيعة کل انسان و جبلته من حيث انهم يعتقدون بان الله تعالي موجود و ينکرون ربط النبي ص بالله تعالي . فيقولون افتري علي الله کذبا. فان کانوا من الذين ينکرون وجود الله تعالي لکانوا يقولون للنبي انه لايکون للبشر رب في السماء و لا في الارض و لم يکن الله موجودا لينزل عليک کتابا او علي غيرک من الناس. فيقرون بالله تعالي و ينکرون نزول الکتاب منه فيقولون ان هذا الرجل يفتري علي الله و ينتسب اليه علمه و رايه و حکم نفسه ليکون انفذ في نفوس البشر فيحکم عليهم. فيقولون افتري علي الله کذبا.

فيحکم الله تعالي علي هؤلاء المکذبين و معاونيهم بانهم جائوا ظلما و زورا.

الایه، 4- و قال الذین کفروا ان هذا الا افک افتریه و اعانه قوم اخرون فقد جائوا ظلما و زورا... اي ظلما لانفسهم حيث يحرمون انفسهم من فضل الله و رحمته و لو اعتقدوا بالقران انه من الله لاهتدوا به. و الزور حکاية عن ما لا يکون کانه يکون. فمن اخبر بشيئ لا يکون في العالم او قال ما ليس لقوله معناً فقد حکم بالزور و البهتان. ثم کذبوا عليه( صلي الله عليه واله )بان هذا القران من اساطير الاولين تملي علي رسول الله، اي يحکي و يقال له من هذه الاساطير بکرة و اصیلا.

الایه، 5- و قالوا اساطیر الاولین اکتتبها فهی تملی علیه بکرة و اصيلا...

فقالوا ان بعض اليهود او مثل سلمان من العجم ياتي محمدا( ص )بکرة و اصيلا يحکون له من هذه الاساطير ثم هو يقفّي هذه الاساطير و يسجّعه بما يرادف الاشعار. فيفتري علي الله و يقول انه کتاب منزل من الله تعالي ليحکم به علي الناس يکرههم علي اطاعته .

فيامر الله تعالي رسوله بان يقول لهؤلاء الکاذبين المکذبين بان هذا القران ليس من الاساطير و لايملي عليه احد من البشر. فان کان احد من البشر يقدر ان يقول مثل هذه الاساطير بالسجع و القافيه و ترتيب الايات فهو يحکي لنفسه عن نفسه ليشتهر به عند الناس و ليرجع بالناس الي نفسه لا الي غيره، بل هو کتاب انزله الله تعالي الذی یعلم السر فی السماوات و الارض...

الایه، 6- قل انزله الذي يعلم السر في السماوات و الارض انه کان غفورا رحیما... لان في هذا الکتاب اسرار يحکي عن الروح و الملائکه و ما ياتي من الحوادث او يحکي ما لا يعلمه بشر و لا يخطر ببال احد من افراد البشر. فانک لاتجد انسانا يکشف ببيانه عن المغيبات من الحوادث او يحکي عن المغيبات مما خلقه الله تعالي و لا يعرفه احد من افراد البشر من الجن و الانس .

فان القران يخبر عن علم ما کان في الازل و يکون الي الابد و ما هو کائن في الحال و الزمان. فکيف يقدر انسان ان يکشف عن ما کان و ما يکون. فهو کتاب من الله الذي يعلم السر في السماوات و الارض. ثم يخبر تعالي في ذيل هذه الايه بانه: غفورا رحیما...

و المناسبة بين هذين الصفتين و ما يرد علي هؤلاء الکفرة المکذبين انه تعالي لا ياخذ الناس بذنوبهم و عصيانهم، يحلم عنهم في الان الذي عصوا ربهم و کذبوا رسوله. فان هؤلاء الکاذبين المکذبين مستحقون ان ينزل عليهم عذاب في ان و زمان کذبوا علي رسول الله( ص )ولکن الله تعالي بلطفه و کرمه يمهلهم و يحلم عنهم لعلهم يرجعون عن غيهم و ضلالتهم و يتوبون الي الله تعالي. انه کريم ذو اناة.

فذکر ( الغفران )قبال عصيانهم و تکذيبهم، و( الرحم )قبال قصورهم. فان التکذيب اذ کان عن علم و يقين بان القران حق من قبل الله تعالي يکون عصيانا يستحق العذاب في الان الذي عصي الله. و ان کان التکذيب عن ضعف او جهل و قصور، يسمي ذنبا. فالعاصي اذا تاب الي ربه يستحق العفو، ان يمحو الله تعالي عن وجوده اثر العصيان. و المذنب اذا علم انه اذنب عن جهل و قصور ثم تاب الي ربه يستحق الغفران. و الغفران بمعني رفع الجهل و الضعف عن وجود المذنب ليکون قادرا علي اطاعة الله تعالي .

و العفو بمعني محو اثر العصيان عن وجود العاصي. لان العصيان اذا کان عن علم يحدث في قلب العاصي نکتة سوداء يجعل القلب في ظلمة و جهل فاذا تاب يمحو الله تعالي هذه النکتة السوداء فيجعل القلب نقية بيضاء کما يقول: يکفّر عن سيئاتهم ...

فعليذلک يکون الذنب اهون من العصيان لان الذنب ارتکاب السيئة عن جهل و ضعف. فيکون المذنب قاصرا عن ترک السيئه. لانه اِمّا جهل بان هذا ذنب و عصيان، نهي الله تعالي عنه فلا يقدر علي ترکها بجهله. و الجاهل اضعف الضعفاء. و اِما ضعف عن ترک الذنب لغلبة جوّ العصيان عليه فلا يقدر ان يخالف راي اکثر الناس العاملين بهذا العصيان او المستحلّين بترک الصلوة. فالناس يجرونه اليهم بافکارهم و عصيانهم و هو لا يقدر ان يقاوم الناس بفعل الواجب او ترک العصيان و هي کمسلم في بلد الکفر او شيعة في بلد اهل السنه ، يعلم ان الصلوة کما يفعله شيعة علي عليه السلام ولکن لو صلّي کما تصلي الشيعه يهجم عليه الناس يتهمونه بالرفض و غير ذلک و هو لا يقدر ان يقاومهم. و کذا المسلم في بلد النصاري او اليهود لا يقدر ان يتظاهر بالاسلام لهجوم افکار الناس عليه و اتهامهم بانه مسلم. فهو لا يقدر مثلا ان يصلي فيهم کما يصلي المسلمون او يترک الشراب و مثل ذلک مما يستحله النصاري و يحرمه المسلمون. فهو لا يقدر لضعف نفسه ان يقاوم افکار اهل البلد فيترک الاسلام و يتظاهر بمذهب الجماعه او النصاري، و هذا هي التقيه. اذن له الائمة عليهم السلام ان يحفظ الاسلام في قلبه و نيته و يتظاهر بما عليه اهل البلد. فمثل هذا ترک واجب او فعل حرام يسمي ذنبا يصدر عن المذنب بقصوره لا بتقصيره. و قباله العصيان، ان يذنب المذنب عن علمه بانه ذنب و عن قدرته علي ترک الذنوب. فالذنب اهون من العصيان. فاذا تاب المذنب الاول يغفر الله تعالي له بالتاييد و التعليم و التوفيق، فيسهل عليه فعل الواجبات و ترک المحرمات. و اذا تاب العاصي يمحو الله تعالي عنه اثر العصيان فينقلب هو في حال المذنبين، يعفو الله عنه و يکفر عن سيئاته و لا يوفقه بفعل الواجبات و ترک المحرمات الا ان يطلب و يسئل عن الله التوفيق .

ثم يحکي الله تبارک و تعالي عما يقول الناس في شان الانبياء يقول:

الایه، 7- و قالوا ما لهذا الرسول ياکل الطعام و يمشي في الاسواق لو لا انزل علیه ملک فیکون معه نذیرا... يظنون ان الانبياء لا يکونون من جنس البشر و لابد ان يکونوا مَلَکا او غيرها مما يجانس الله تعالي او يماثله و لا يجانس البشر. و ذلک لان الانبياء حقيقة شخصية من القول و العمل و الاعجاز من غير ما يکون عليه شخصية غيرهم. ان الانبياء لا يقولون الا عن الله و ساير الناس يقولون عن انفسهم، و الانبياء لا يريدون شيئا الا ما يريد الله تعالي و ما يريد الله فوق ما يريد البشر و ساير الناس يريدون ما يريدون بانفسهم من الماکل و المشارب و المساکن، و الانبياء يستهدفون عيش الاخره و لا يطلبون عيش الدنيا باعمالهم و اخلاقهم، و الناس يستهدفون في الاخلاق و الاعمال منافع الدنيا. و کذلک الانبياء لا يعملون عملا الا ما ينتج في الاخره و لا ينتج لهم شيئا في الدنيا الا ما يزاحمهم من الفقر و الاذي من الناس ولكن الناس لا يعملون عملا الا ما ينتج لهم في الدنيا فقط. و كذلك الانبياء لايعتمدون علي احد الا علي الله تعالي و يکون الله تعالي سنادهم و عمادهم في کل ما يفعلون. فعليذلک لايجانس احد من الناس الانبياء و لايجانس الانبياء في ما يريدوا و يفعلوا احدا من الناس. فيظنون ان الانبياء لابد لهم ان يکونوا من جنس الملائکه.

فيتعجبّون من نبي انه ياکل و يمشي في الاسواق و يقولون:

الایه، 8- او يلقي اليه کنز و تکون له جنة یأکل منها و قال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا... كل ذلک الاعتراضات و الايرادات انما ينشأ من ان النبي باعماله و اخلاقه و اهدافه غير ما يکون عليه ساير الناس، فلا يمکن لاحد ان يقبل دعوة الانبياء الا ان يکون فيه من العقل و الايمان شيئ مما يجانس به الانبياء فيصدّقون بهذه الجنسية قول نبيهم. و لذلک عرف في تاريخ البشر انه لا يصدّق نبيا الا نبي مثله او وصي نبي او مومن دخل الايمان في قلبه بهداية الله تعالي، فيکون بينه و بين الانبياء مجانسه و مماثلة فيصدّق النبي و لايضاده فيما يقول من الحکمة و الموعظة و الدعوة الي الله تعالي .

و لذلک نقول کما ان الله تعالي بارادته و تربيته و هدايته يبعث احدا ليکون نبيا، کذلک هو الذي يبعث احداً مومنا فيکون مصدقا لنبيه. فمن لم يهده الله تعالي و لم يجعله مومنا لايمکنه ان يصدق نبيا من الانبياء او کلمة حق انزل من السماء. فالايمان نور و روح يجعل بارادة الله تعالي في قلب احد من الناس، ينقلب بذلک مومنا فيکون بذلک نبيا او مصدقا لنبي. و لذلک يقول الله تعالي يخاطب نبيه: انک لاتهدي من احببت ولکن الله يهدي من يشاء... فالرسول ص لا يقدر ان يجعل احدا مومنا فيصدّقه بنور ايمانه. و يرد الله علي اقوام مسلمين يدّعون انهم مومنون يقول: قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم... و يخاطب ايضا في اية اخري نبيه بقوله: و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان.. فعليذلك الايمان روح من امر الله يدخل في قلب المومن فينقلب بذلك مومنا بعد ان كان مسلما او كافرا فيصدّق بتلك الروح الانبياء و ساير المومنين من الصلحاء و المتقين.

و لك ان تقول مستشكلا علي ما قلنا الايمان روح ينفخ في قلب المومن بامر الله فان كان الايمان مجعولا بامر الله تعالي فكيف يكون مقصرا من لم يكن مومنا. فمن لم يدخل الايمان في قلبه لا يقدر ان يصدق نبيا و يومن به لان التصديق انما يكون بروح الايمان و روح الايمان لا ينفخ الا بامر الله. فيمكن للكافرين ان يعتذروا عن كفرهم يوم القيامه و يقولوا لم يخلق الله في قلبنا نور الايمان فيمكننا ان نومن بالله و رسوله .

فالجواب ان الكافرين بعد ما ظهرت فيهم الحجه و بعث فيهم نبي يقدرون ان يتفكروا في امر النبي فيعرفوه انه مبعوث من الله تعالي لما يرون بيده الايات و المعجزات. فلو احبوا او شائوا ان يومنوا بنبي بعث فيهم يويدهم الله تعالي بروح الايمان ليقدروا ان يومنوا بنبيهم ولكنهم لم يتعقلوا و لم يتفكروا في امر نبيهم و يخافون علي دنياهم في امر النبي( ص )فينكرون قوله و هم يعلمون انه الحق جاء فيهم بالايات و البينات. فبانكارهم هذا حرموا من توفيق الله تعالي و تاثيره .

و ملخص الكلام في دلائل ما يقولون قولهم: او يلقي اليه كنز... انهم لم يتجهزوا بنور الايمان ليعرفوا نور النبوة و الولايه و انما يعرفون من الحياة ما يعرفون من الانعام و الماكل و المشارب و المال و الكنوز، او يكون مع النبي من الملائكة ما يرونه باعينهم، و لايدرون ان الملائك اذا ظهروا بلباس الانسان يظنونه بشرا و لا يعرفون انه ملك، فينكرونهم كما انكروا نبيهم. و ان ظهروا فيما هم عليه من النورانيه لايرونهم كما لايرون الان. فان السماء كما يقول مولانا علي علیه السلام مملوئة من الملائك و لا يرونها احد من الناس و لايعرفون ان النبوة انما هي بنور الايمان و قدرة التعقل و التفكر و هي مما لايري و لايعرف بنظر الناس. فلابد ان يصدّقوا النبي و يومنوا به او يكفروا فيدخلوا نار جهنم . و اخر ما يحكمون و يعلمون من امر الانبياء علي ما يدركون روح النبوة و الولايه يقولون انه رجل مسحور او مجنون او غير ذلك مما يتهمون به الانبياء فيعرضون عنه. فيقول الله تعالي في الرد عليهم:

الایه، 9- انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا…

فاذا ظنوا ان النبي مسحور او مجنون كيف يمكنهم ان يهتدوا بهداية النبي او يتعلموا منه العلم و الحكمه؟ و انما يتعلم متعلم من المعلم اذا اعتقد بانه عالم مومن عظيم عند الله تعالي فيوقّره توقيرا علي ما يناسب شانه ثم يتعلم منه. و لذلك يوقّر الله تعالي الانبياء و يعظّمهم في انظار الناس بما اتاهم من الايات و البينات. فانك تري الله تعالي يعظم النبي صلي الله عليه و اله بقوله انه رسول الله و خاتم النبيين، البشير النذير، السراج المنير. فقرن طاعته بطاعته و بيعته ببيعته، يقول: ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم... و انما يعظّمه الله تعالي بما هي شانه ليعظّمه الناس علي تعظيم الله تعالي فيتبعوه فيهتدوا به. فاذا كانوا يضربون له مثلا مثل هذه الامثال انه مجنون او مسحور يحقّرونه و يصغّرونه و يظنون بجهلهم و سفاهتهم انهم فوق هذا النبي كيف يمكنهم ان يتعلموا منه؟ فيضلوا و لا يستطيعون سبيلا. لان النبي( ص )هو السبيل الي الله و اذا تركوه تركوا سبيل الله تعالي .

ثم يقول تعالي ردا علي قولهم: او یُلقي اليه كنز او تكون له جنه... يصف نفسه اولا بالبركه ليثبت عند الناس انه تعالي قادر علي خلق ما يريد و يقول انه تعالي يقدر ان يجعل لك خيرا من ذلك جنات و يجعل لك قصورا.

الایه، 10- تبارک الذی ان شاء جعل لک خیرا من ذلک جنات تجری من تحتها الانهار و یجعل لک قصورا...

و هذا مما وعد الله تبارك و تعالي الانبياء و اتباعهم كلهم في يوم القيامه ان يجعل لهم جنات و يجعل لهم قصورا. فما اكثر ما يقول في كتابه يعد المومنين و المومنات ان يدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها. و يقول لها غرف من فوقها غرف مبنيه تجري من تحتها الانهار. او يقول و مساكن طيبة في جنات عدن و غير ذلك مما يعد عباده المومنين فضلا الانبياء و خاتم النبيين( ص). فيخبر ان الجنة و قصورها خير من جنة الدنيا و قصورها. و هذه الخيريه انما هي في جهتي الكم و الكيف. اَمّا من جهة الكم و الوسعه فجنات الاخره و قصورها لا ينتهي الي حد يكون المومن فيها لا يقدر ان يتجاوز منها او يمنع عن الخروج منها فيكون محبوسا في جنته محدودة لا يتجاوز الي غيره. يقول الله تعالي في وصف هذه الجنه: و سارعوا الي مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الارض اعدت للمتقين .

و اما من جهة الكيفيه فان الجنات في الاخره لها انهار من لبن لم يتغير طعمه و ماء غير اسن و انهار من خمر لذة للشاربين و غير ذلك مما يصف ثمراته و فواكهه و مناظره. فان الفواكه في الجنه و ساير الاطعمة و الاشربه كلها شهوة و قوة يدفع عن الابدان بصورة العرق كالمسك و العنبر. لا يكون في هذه الفواكه مواد زائده لا يقوي الانسان و لا يشهّيه فيثقل علي بطنه، يخرج مثل ما يخرج في الدنيا. ففيها ما لا عين رات و لا اذن سمعت و لا خطر علي قلب بشر. فلو بعث الله تعالي نبيه المقام المحمود يوم القيامه يجعل له مثل هذه الجنه و القصور فيدخل فيها اولاده و من احبه و اتبعه من امته فيظهر له الملك العظيم حيث لا حدّ لهذا الملك كمّاً و كيفا. ثم قال انهم لايكذبونك لان لا يكون لك جنة من نخيل يرونه بل يكذبون بالساعه. انهم يكذبون الله تعالي و الاخره و يكذبون الحق ثم يكذبونك بانتسابك الي الله تعالي و دعوتك اليه و الي الاخره. فيقول:

الایه، 11- بل كذبوا بالساعه و اعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا... فيخبر بان المكذبين بالساعة محاطون و محاصرون في تكذيبهم هذا بنار جهنم. يظهر من ظاهر هذه الايه بان الله تعالي يسلط النار علي كل من كذب بالساعه لان هذا جزاء المكذبين. فكل من انكر القيامه يعذب بالنار بمشية الله تعالي. و الظاهر ان التعذيب يقع بارادة الله تعالي و فعله كما ان الانكار بارادة الانسان و عمله. و قلنا في بعض مباحث ما سبق بان جزاء الاعمال يكون علي قسمين: قسم بيد الله تعالي فيعذب العاصين كما عذب قوم لوط و قوم عاد و ثمود، و قسم يكون بيد العاصي و الكافر بما كفر و عصي ربه، فيكفر و يعصي ربه و يعذب نفسه بالنار بكفره و عصيانه لا ان الله تعالي يعذبه بالكفر و العصيان. و عذاب النار من قسم الثاني. فان من كفر بالله تعالي و كذب بالساعه خرج بذلك عن طاعة الله و طاعة رسوله. فهو في خروجه هذا ينصب العداوة لله و للرسول و ينصب الحرب لاولياء الله. فهو في نصبه الحرب يتقوي بما به يقوي ان يحارب رسول الله ص . فتارة يتقوي بالسيوف و الرماح و ساير الات الحرب فيحارب اولياء الله و تارة يصنع الاسلحة الناريه لحربه هذا فيعذب بهذه القوي النارية التي احرق عباد الله في يوم القيامه. فهو يعذب بنار اوقدها علي نفسه فيعذب بعمله و ارادته لا بارادة الله تعالي و فعله. فانه كفر ثم صنع القوي النارية فحارب به اولياء الله و احرقهم فحكم عليه في يوم القيامه بنار صنعه و اوقده علي المظلومين المومنين. و يخبر الله تعالي في هذه الايه بان الكافرين المكذبين يصلون نارهم و يشعلونها قبل يوم القيامه. و ذلك ان الساعة محيطة بهم، و المحيط خارج عن المحاط. فهم يصلون نارهم قبل الساعه. و يقول الله تعالي في اية اخري: فمنهم من امن به و منهم من صد عنه و كفي بجهنم سعيرا..و في اية اخري يقول: يصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين ..

و بيان ذلك ان الناس في حركاتهم و اعمالهم و افعالهم و ما يصنعون لانفسهم من الخير و الشر متحركون متكاملون الي ان وصلوا اكمل الصنايع و الات الحرب قبل القيامه و هي الصنايع الناريه. و في عبارة اخري اوضحنا ان الناس كلهم خيرهم و شرهم في نظام اعمالهم و افعالهم متحركون كالمسافرين الي مقصد. فالمقصد هي القيامه تقوم بقيام القائم عليه السلام عجل الله تعالي فرجه. و المبدء الي هذا المقصد يوم اهبط الله تعالي ادم الي الارض. فبين هذا اليوم و يوم قيام القائم هي المسافة بين المبدء و المقصد يتحركون اليه. و هذه الحركه ليس كمثل حركة المسافر من بلد الي بلد بل هي حركة من حال الي حال و من جهل الي علم و من علم الي علم اخري اكمل منه و من حياة الي حياة اخري اكمل مما تركوه وراء ظهورهم .

فانظر الي كيفية العيش و الحياة في طريقي الخير و الشر كيف يتكامل و الناس فيها متسابقون. و هكذا يعرف الله تعالي اهل الخير و الشر في سورة الزمر حيث يقول: و سيق الذين اتقوا ربهم الي الجنة زمرا… و سيق الذين كفروا الي جهنم زمرا.. فاهل الخير و الشر كلاهما متكاملون متسابقون الي احسن الخير و اسوء الشر، و اسوء الشر اشر الشر، و احسن الخير خير الخير. فانظر الي اهل الشر في حركاتهم الي اشر الشر. فالظلم و التجاوز و الاعتداء باليد و اللسان شر. فتارة يشتم الظالم المظلوم و تارة يقتله و يسلب عنه ماله فيظهر بهذه الظلامات الحرب و الصنايع الناريه ليقدروا بصنايعهم هذا الي قتل كثير من الناس، يصلون النار اليهم و يقمعونهم فيتسلطون عليهم. فان الظالم و من يتبعه يريد ان يكون حاكما علي كل اهل الارض مومنهم و كافرهم فيجعلهم ذُلاً صغارا في حكومتهم يحكم عليهم بما يشاء يستخدمهم و يستثمرهم و ينتفع بهم. هذا داب الظالمين من لدن ادم الي قيام القائم. يصنعون للوصول باهدافهم الصنايع الناريه فيصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين. يصلونها اي يشعلونها علي الناس .

كذلك اهل الخير و الايمان في تكاملهم الايمانيه متسابقون متسارعون الي مغفرة من الله و رضوانه. فهم في كل يوم في فهم و علم و حكمه احسن مما مضي و يعيشون عيشا خيرا مما مضي و الي حكومة الاهية بنبي او وصي نبي او مومن صالح خير مما مضي. و هم ايضا في اهدافهم و مقاصدهم يريدون ان يحكموا علي كل اهل الارض يجعلون الناس في ظل حكومة الله تعالي كما يصفهم ربهم في كتابه : ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم. فيريدون ان يجعلوا ربهم حاكما علي كل اهل الارض و هم ايضا يصلون الي ما يريدون كما ان الكفار وصلوا الي ما ارادوا من جحيمهم و نارهم. ففي طريق حياة اهل الكفر النار الموقده التي تطلع علي الافئده، و في طريق اهل الايمان قيام القائم ع و ظهور حياة الاخره بقيامه. فالمقصد الاصليه قيام الحق بقيام القائم. يسلطه الله تعالي علي كل اهل الارض من المومنين و الكافرين ثم يرجع الي ظل حكومته الاموات مومنهم و كافرهم. فتري القيامة محيطة باهل الشر و شرورهم و اهل الخير و خيرهم .

ثم يصف الله تعالي نارهم الجحيم بقوله:

الایه، 12- اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيرا... فيصف غيظ النار و زفيرها لاهلها قبل الورود فيها. و قلنا كرارا و مرارا بان نار الجحيم لايصنع و لا يوقد بارادة الله تعالي بل يوقد بارادة الكفار و اعمالهم و هذا كما تريهم افتتنوا بالقوي الناريه و استخرجوها من مكامنها و يصلونها في حربهم العالمية الثالثه علي انفسهم. و الان كما تريهم يرون تغيظ هذه النار و يسمعون زفيرها لانهم يجّربونها مرارا قبل حربهم العالمي. فيرونها و ما هي عليها من شدة الاشتعال و الايقاد و يعلمون يقينا ان هذه النار الموقده تاخذهم و تطلع عليهم و هم في عمدهم الممدده. و يصف الله تعالي هذه النار في سورة( الغاشيه )و في سورة( الدخان )بانها غاشية يغشي الناس كلهم علي وجه الارض. يخاطب نبيه في سورة الدخان بقوله : فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشي الناس هذا عذاب اليم.. فيخبر ان ظهور هذه النار من علائم القيامه و هي قيام القائم، يامره ان ينتظر يومآ تاتي السماء اي يظهر في السماء هذا الدخان. و السماء في هذه الايه بمعني سماء العلم و الافكار. فان السماء سمائان. سماء علي وجه الارض و هي هذه الفضاء فوقنا، و سماء في وجود الانسان و هي علمه و تفكره و تعقله. فيخبر بان الانسان ياتي بتفكره و علمه هذه النار الموقده فيعلم قبل ايقاده و اصلائه بان لها تغيظآ وزفيرا يهلك الناس علي وجه الارض و يهلك كل شيئ صنعوه بايديهم. فالكفار يخافون علي انفسهم خوفا شديدا من هذه النار الموقده التي صنعوها بايديهم .

ثم يقول تعالي:

الایه، 13- و اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا… و المكان الضيّق في هذه الايه يظهر لهم بحكم القائم في قيامه. فانه عليه السلام يخرج الكفار عن جامعة البشريه و الحياة الانسانيه و يجعل ايديهم صفرا مما خلق الله علي وجه الارض من الاطعمة و الاشربه و الالبسه و يخص النعم كلها لاهل الايمان كما يخبر الله تعالي بذلك في اية اخري يقول: قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه… فيوم القيامه في هذه الايه هي قيام القائم و هو الذي يجعل الطيبات خالصة للمومنين. ثم يقول الله تعالي يخاطبهم بقوله:

الایه، 14- لا تدعوا اليوم ثبوراً واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا… و الثبور اظهارا لتفجع و الصراخ من شدة العذاب. و النكتة العلميه في هذه الايه التي يجب ان يُعرف، قوله تعالي: و ادعوا ثبورا كثيرا.. فيقال لِمَ يتركهم الله تعالي في العذاب الاليم و هم متفجعون متالمون نادمون عما فعلوا و صنعوا لانفسهم هذا العذاب الاليم، و يمنعهم و هو تعالي في رحمته الواسعه، ان يخرجهم عن نار جحيمهم ؟

فيقال في الجواب ان الخروج عن النار و ما يتبعها من العذاب و النقمه لا يمكن قبل ان يخرجوا عن كفرهم و عن كثرة ذنوبهم المحاطة بهم. فانهم في كفرهم حجبوا عن ذكر الله و لا يذكرونه تعالي و لا يومنون به لانّ ذكر الله تعالي و الايمان به تتوقف علي المعرفه به و هم حجبوا في شدة كفرهم عن المعرفه. فلا يذكرون الله و لا يتوبون كما تريهم في هذه الدنيا يصابون بمصائب كثيره و لايلجئون الي ربهم. و قد رايت في ال فرعون حين اذ حاصرهم الله تعالي في دفعات كثيره بعذاب شديد ارسل عليهم الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و غير ذلك لجئوا الي موسي و عاهدوه ان يطلقوا بني اسرائيل و يومنوا برب موسي. فلما كشف الله عنهم العذاب الي اجل هم بالغوه فاذا هم ينكثون عهدهم و داموا في كفرهم فعذبوا بعذاب الله و لم يخرجوا عن كفرهم. فكما انهم لايلجئون الي الله و لايخرجون عن كفرهم عن عذاب الدنيا كذلك لا يخرجون عن كفرهم عن عذاب الاخره. لان الخروج عن الكفر يتوقف الي معرفة الله و ذكره تعالي و هم حجبوا عن هذه المعرفه بشدة كفرهم و جهلهم و نسوا ذكر الله فلا يمكن لهم ان يخرجوا من عذابهم. فلذلك يقول الله تعالي: لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا… ثم يامر الله تعالي نبيه ان يقول لهم:

الایه، 15- قل أذلك خير اَم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء و مصيرا..

و اللطيفة في هذه الايه قوله تعالي ان الجنة مصير للمتقين. و المصير من ( صار، يصير، صيروره )هي التغيير الذاتي و الانقلاب الوجودي. فان الانسان في طريق اعماله الصالحه او الطالحه يتحول في علمه و تفكره و تعقله فينقلب شيئا غير ما كان عليه قبل الايمان و التقوي. فهو حين تولده الي بلوغه قبل ان يكون عمله عن علم لا يوصف بالكفر و الايمان لانه لم يعمل الشر بعامل كفره و خبث ذاته. كذلك لم يعمل الخير بعامل ايمانه و طيب ذاته بل عمل الخير و الشر بعامل المحيط او بامرِ الآمِرين كما تري المومنين و الكافرين مشتركين في كثير من الامور، خيرا كان او شرا. ان الكافر يعمل خيرا، يحب والديه و ضعفاء بني نوعه و يحسن اليهم و يبني بناء الخير من المعابد و الطرق و القناطير. كذلك المومن كثيرا ما يعمل هذه الاعمال، و هذا علي طبق ما اعتادوه في حياتهم. لا الكافر عمل عمل الخير بكفره و لا المومن بايمانه. كذلك الصبيان ما لم يبلغوا الحُلُم ام التعقل و التفكر. فمثل هذا صبيا كان او غير صبي لايسمي كافرا و لامومنا الا اذا عمل الشر عن كفره، يحارب بها اهل الايمان او عمل الخير بكفره. كما يبني الكافر بناء الخير لتقوية الكافرين. و هكذا المومن عمل عمل الصالح عن ايمانه يتقرب به الي ربه. فاذا كانا كذلك، يعمل هذا عن كفره ضد الايمان و هذا عن ايمانه ضد الكفر فانهما بهذين العملين عن كفرهم و ايمانهم يتحولان في ذاتهما و وجودهما. الكافر يتحول و ينقلب الي الجهل و السفاهه و المومن يتحول و ينقلب الي العلم و الحكمه. فهذا ينقلب جاهلا جهلا مركبا، يحسب انه يحسن صنعا و ذاك ينقلب مومنا عالما حكيما يعلم قطعا انه يحسن صنعا. فلا يقدر هذا ان يدع انقلاب وجوده فيتحول الي الكفر و هذا ان يدع جهل وجوده فينقلب الي الايمان. هذا معني الصيروره و التحول حيث يقول الله تعالي: كانت لهم جزاءً و مصيرا… ثم يقول تعالي:

الایه، 16- لهم فيها ما يشائون خالدين كان علي ربك وعدا مسئولا… فيعد المومنين ان لهم ما يشائون و هذا من احسن ما وعد الله تعالي عباده اذ يعدهم بان لهم ما يشائون. فيرفع الحساب و المقادير عما وعد الله لهم من الثواب اذ الانسان لا يتناهي في مشيئته و لا حد و لا مقدار مما يشاء من النعم و اللذات، كما يعد في اية اخري: انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب. فللانسان ان يدعُو ما يشاء و علي الله تعالي ان يجيب ما يشاء عبده. و ذلك لان المومن ترك سنة نفسه فيما يهوي نفسه و سنة نفسه محدود ضعيف لا يطلب الا محدودا مقدرا بالكم و الكيف و لا يجد كذلك الا محدودا مقدرا بالكم و الكيف. و هذه المحدودية من حيث ان المومن فيما يطلب و يريد محدود اذا كان علي مقدار عقله و علمه، اخذا بسنة نفسه و ان كان حقا ما يطلبه. و اما اذا ترك ما يريد بعقله و علمه و اخذ بسنة ربه و فوض امره اليه ينقلب غيرمحدود فيما يريد و يشاء فيطلب ما شاء و يوتي ما شاء. ثم يعلّمه الله تعالي و يفقّهه فيما يشاء من النعم فيوتيه ما يشاء الي ما لايتناهي. فعلي المومن الطلب و الدعاء و علي الله الاجابه، وعدا منه فيما وعد عباده المتقين و انه لايخلف الميعاد.

ثم يحكي الله تبارك و تعالي عن حشر الانسان يوم القيامه و حشر ما معه. فان الانسان في القيامه هو الانسان الذي كان في الدنيا فيما يعلم و يعرف و يشاء و يطلب و يعتقد و فيما يرجوه و ينتهي اليه امره من الاصنام و الطواغيت. فالانسان في نفس الامر و في الواقع ليس الانسان الذي خلقه الله تعالي بيده في رحم امه بل الانسان هو الذي يفهم و يعلم و يطلب ما يشاء. و نعم ما يقول صاحب المثنوي بالفارسي: اي برادر تو همه انديشه اي مابقي را استخوان و ريشه اي

گر بود انديشه ات گل گلشني ور بود خاري تو هيمه گلخني

فالانسان عند الله و عند خلق الله هو الذي يفهم و يطلب علي مقدار فهمه. فاذا خاطب الله انسانا خاطبه علي مقدار عقله او كلّمه علي ميزان فهمه. و كذلك اذا خاطب انسان غيره من بني نوعه خاطبه علي ما يفهم و يشعر. فالمخاطب يفهم انه ابن فلان فيدعوه يا ابن فلان و كذلك المخاطب يعلم عن نفسه انه تاجر او طبيب او غير ذلك من العناوين المكتسبه. فيدعوه الداعي: ايها الطبيب ايها التاجر و غيرذلك. فلايدعو احد احدا باللحم و العظم بل انما يدعوه بالفهم و العلم. فانت و غيرك ما يفهم و يعتقد. و لذلك يحشر الله تعالي كل احد يوم القيامه مع ما يحبه و يعتقده و ماكان يرجع اليه في الدنيا و يطلب منه ما يريد. فالمشركون يحشرون مع ما اشركوه من الاصنام و الطواغيت و لذلك جاء في الروايات: لو أحب انسان حجرا لحشر معه... لانه يعرف نفسه بانه عابد الحجر و المدر و يعرف نفسه بانه محب معاويه و تابعه او محب علي و تابعه. فان بعث يوم القيامه مع من احبه يعرف نفسه بانه فلان و ان لم يبعث مع من احب ينكر نفسه و يقع في خلاء من الفلوات و لعله يضل عن معرفة نفسه لان نفسه ما كان يفهم و يعرف من معاوية و امثاله او من دين علي و امثالها. فاذا بعث يوم القيامه في هذه المعرفه و ما كان يعبده في الدنيا يعرف نفسه بانه هو الذي كان في دين معاويه و علي( ع )و اذا لم يبعث علي هذه الحالة و المعرفه و لم يبعث فيمن كان معهم في الدنيا لم يعرف نفسه بانه هو الذي كان كذا و كذا او يظن ان الله تعالي سلب عنه ما كان فيه من الحق او الباطل و لعله ينادي ربه الذي كان يعبده فينادي يا هبل و يا ايها اللات و العزي او ينادي امامه يا معاويه، يا يزيد و ينادي اصدقائه و احبائه ممن كان معهم في الحياة الدنيا. فلذلك يجب علي الله تعالي ان يبعثه يوم القيامه فيما كان يعرف و يعلم و فيمن كان يحبهم و يعاشرهم او يقتدي بهم في الحياة الدنيا. و لذلك يقول الله تعالي: يوم ندعو كل اناس بامامهم.. و يقول في هذه الايه ايضا:

الایه، 17- و يوم يحشرهم و ما يعبدون من دون الله فیقول ءأنتم اضللتم عبادی هؤلاء ام هم ضلوا السبیل… فيقع كل انسان يوم القيامه في مجتمع كان فيه في الدنيا. فيري اهل الباطل اوليائهم من الشياطين و الطواغيت و الاصنام كلها في النار. فحينئذ ينادي الله تعالي او اوليائه هؤلاء المضلين المبتدعين: أ انتم أضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا بانفسهم و ارائهم ؟فيقولون:

الایه، 18 – قالوا سبحانك ماكان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء ولكن متعتهم و ابائهم حتي نسوا الذكر و كانوا قوما بورا..

فیخبر الطواغيت الشياطين الذين كانوا يقودون هؤلاء الضالين المكذبين بان هؤلاء ضلوا بانفسهم و ارائهم، اتخذونا اربابا و اماما لهوي انفسهم و ما يطلبون بنا و منا من متاع الدنيا. فيلعن المتبوع التابع و التابع المتبوع. فيقول الله تعالي لهؤلاء المتبوعين فقد كذبكم التابعون بما تقولون فلستم تقدرون ان يصرفوا عنهم العذاب و لا عن انفسكم او تنصروهم او تنتصروا بهم:

الایه، 19- فقد کذبوکم بما تقولون فما تستطیعون صرفا و لا نصرا و من يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا...

فهناك في هذه الجمله لطيفة شافيه نافعة و هي قوله تعالي يخاطب هؤلاء التابعين و المتبوعين بانهم كلهم من اهل النار ثم يخص الظالمين منهم بانه تعالي يذيقهم عذابا كبيرا. فان كان هؤلاء التابعون و المتبوعون كلهم في النار معذبون فما موقع هذه الجمله في هذه الايه اذا كان الظالم و المظلوم من الكافرين كلهم في النار؟ فنعلم من هذه الايه و امثالها من الايات و لاسيما ما نري في سورة الحمد بان الله تعالي اخبر عن اهل الضلال و العذاب انهم علي قسمين. قسم مغضوب عليهم و قسم اخري الضالون. فيقول تعالي: غير المغضوب عليهم و لا الضالين.. فنعلم من هذه الايات بان المغضوبين عليهم غير الضالين، و الضالون غير المغضوبين عليهم. و في هذه الايه يخبر عن اكثر هؤلاء التابعين بانهم ضلوا السبيل و يخبر عن اقلهم بقوله: و من يظلم منكم نذقهم عذابا كبيرا.. فلابد لنا ان نتبين هذين القسمين و احوالهم في القيامه .

فالكافرون علي قسمين. قسم منهم ضلوا عن طريق الدين و لم يعرفوا شيئا من الحق و الباطل و كانوا تابعين لمن يقودهم من اهل الحق و الباطل. فلم يعرف الدين ما هو و لما هو و لم يتحققوا ان يعرفوا ربهم فيطيعونه او غير ربهم فيعصونه. فهم ضالون عن طريق الله تعالي. لم يعرفوا انفسهم فضلا ان يعرفوا غيرهم. فهم عاشوا كالانعام. يقول الله تعالي فيهم: لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام… و لكنهم في كفرهم و ضلالتهم لم يظلموا احدا من الناس ان يسلبوا عنهم اموالهم او يؤذونهم او يقتلونهم. فكانوا كافرين و لم يكونوا ظالمين، و ان شئت سميتهم من المستضعفين، ضعفوا من درك الحق و الباطل. و قسم اخري من الكافرين ضلوا عن طريق الدين و بغوا علي الناس. حكموا عليهم فسلبوا عنهم اموالهم و اجبروهم علي الظلم و العدوان و قتلوهم ان لم يكونوا يطيعونهم و حاربوا في كفرهم اولياء الله من النبيين و الصديقين. كانوا مشركين بالله العظيم يعبدون الاصنام او الطواغيت او كانوا منافقين في اطاعة الانبياء و المرسلين. فان الله تبارك و تعالي يخبر عن يوم القيامه يقول: و لقد خاب من حمل ظلما.. فمثل هؤلاء الكفار الظالمين لعباد الله و المحاربين لاولياء الله في شركهم و نفاقهم هم المغضوبين عليهم لظلمهم عباد الله و تشكوا المظلومين الي الله تعالي ان ينتقم منهم. فلابد لله تعالي في عدالته يوم القيامه ان ينصر المظلوم و ينتقم من الظالم فيغضب عليهم ربهم .

ولكن الكافرين من قسم الاول الضالين، غير المضلين. لم يظلموا احدا من الناس و ان ظلموا ببغي الظالمين من قسم الثاني. فلم يظلموا احدا لينتقم المظلوم منهم في عدالة الله تعالي. فهم يوم القيامه محرومون من نعم الله تعالي كلها اذ لم يعرفوا ربهم و لم يستعينوا به و يسترزقوه. فهم كالانعام ليس لهم رب و لا ولي و لا من يدافع عنهم. فيقعون في فقر شديد لا ماء لهم فيشربون و لا غذاء فياكلون و لا ثياب فيلبسون و غير ذلك. فالفقر جحيمهم يوم القيامه. و لعلك تقول يلزم من هذا القول ان لا يعذب بعض الكافرين يوم القيامه، و ان الله تعالي يعمّ الكافرين بعذاب النار. كما تري في اكثر الايات يقول: ان الله تعالي جامع الكافرين و المنافقين في نار جهنم... فان كان عذاب الاخرة بالكفر و الجنة بالايمان فمن كان كافرا يدخل النار بلا استثناء و كذلك من كان مومنا يدخل الجنة بلا استثناء و ليس شيئ بين الايمان و الكفر. يقول الله تعالي: انا هديناه السبيل اما شاكرا و اما كفورا.. فالكافرون كلهم معذبون يوم القيامه بعذاب النار او بغيره .

فنقول في الجواب اولا ان الله تعالي قسّم الكفار قسمين في سورة الحمد و هي ام الكتاب المغضوبين عليهم و الضالين منهم. و في هذه الايه يقول: و من يظلم منهم نذقه عذابا كبيرا. فان كان عذاب الاخرة بالكفر ثم الظلم و العدوان فكيف يعذب الله تعالي من لم يظلم احدا في الدنيا و لم يكن احد يدّعي عليه حقا فيشكو تضييع حقه الي الله تعالي فينتقم منه؟ فكيف يعذب الله تعالي كافرا عاش في الدنيا كالانعام، لم يظلم احدا و لعله بغي عليه و ظُلم بساير الظالمين؟

و ثانيا نقول ان المحرومية من نعم الله كلها عذاب شديد في نفس الامر. فما تقول فيمن يجوع و لا غذاء له، يعطش و لا ماء له يشرب، يعري و لا لباس له، وكذلك يخنق و لا هواء يتنسم به، يستوحش و لا احد يانس به. يقع في صفر مما يتنعم به الانسان. فهي ايضا عذاب شديد في نفس الامر و يظهر له هذا العذاب لانه يقع في جهل لايعرف ربه فيسئله و لا امام فيتبعه فيشفعه و لا يعرف احدا مومنا و لا مومنة يتمسك به. فلذلك يقع في خلاء من جميع ما ينتفع به الانسان او الحيوان. و هذا ايضا عذاب شديد. فاحسب نفسك في مثل هذه الحاله ليس معك شيئ من النعم. فتري هذه الحالة عذابا اليما.

ثم يرد الله تعالي عليهم ما يقولون به في الانبياء من انهم:

الایه، 20- و ما ارسلنا قبلک من المرسلین الا انهم لياكلون الطعام و يمشون في الاسواق و جعلنا بعضکم لبعض فتنه أتصبرون و کان ربک بصیرا... فيقول ما ارسلنا من رسول الا و هو يمشي و ياكل و ينكح و ينام و يستيقظ مثل ما يفعله غيرهم من الناس. ان المستهزئين و الكافرين يظنون في انفسهم ان الانبياء لابد لهم ان لا يكونوا من جنس البشر لانهم رسل الله تعالي. فلابد لهم ان يجانسوا ربهم بشيئ من التقدس و النورانيه فلا يكونون من جنس البشر بل من جنس الملائكه و الروحانيين. فلما راوا الانبياء في معاشهم و حياتهم كمثل ساير الناس ينكرون نبوتهم و لا يدرون ان النبوة انما هي بروحانية الانسان لا بجسمانيه. فالانبياء يقوّيهم الله تعالي بالروح و يؤيدهم بروح القدس. و الروح في الانسان نور من جنسية الملائكه و لاسيما روح الايمان و العلم. يقول الله تعالي: و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان.. و في موضع اخري: يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي… و يقول في وصف مريم س: فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا… و يصف عيسي ابن مريم ع بقوله: ايدناه بروح القدس… فهذه الايات كلها دليل علي ان الروح ملك او من جنس الملائك. بهذا الروح يتلقي الانبياء الوحي و العلم من الله تعالي. فالانبياء بروحانيتهم ملائكه و بجسمانيتهم بشر مثل ساير الناس. فلو كان الناس لهم علم بروحانية الانبياء و كانوا يعلمون ان الانبياء بروحانيتهم من جنس الملائكه ما كانوا يعترضون بقولهم انهم بشرمثلنا! و لم يقولوا و لو كان الله ارسل علينا رسولا كان يجب ان ينزل علينا الملائكه! ولكنهم لا علم لهم بروح الايمان و روح العلم و انها من جنسية الملك. ان الانبياء يتقدمون علي ساير افراد البشر بروحانيتهم و ان كانوا مثلهم بجسمانيتهم. و في الحديث التي يصف الارواح يقول الارواح مختلفات و في كل شيئ من الاشياء روح يخصه، منها روح الاستمساك في الجمادات يمسك بعضها ببعض فينقلبوا جسما جمادا و منها روح النباتيه في النباتات يجذب بها ما يلائمها و يدفع بها ما لا يلائمها فينقلب بها نباتا و منها روح الحيوانيه يدرك بها من طريق الاحساس ما يجري له و عليه فيحس ما عليه، يدفعه عن نفسه و يحس ما ينفعه فيجذبه الي نفسه. فينقلب بروح الاحساس حيوانا. و منها روح العلم يستدل به من محسوس حاضر الي محسوس غايب. فيجعل الحاضر طريقا الي الغايب فيتكامل تكاملا علميا، ينقلب بروح العلم انسانا يستدل بالحاضر الي الغايب فيمشي مشيا علميا. و منها روح العقل، يستدل به بالاثار علي المؤثر و بالشاهد المحسوس الي الغائب غير المحسوس. فيستدل بالايات التي يشاهده الي خالقه و يستدل باثار الروح و النور الذي يشاهده الي جنسية الروح و الانوار في ماوراء المحسوسات فينقلب بذلك عالما عاقلا. و منها روح الايمان، يومن بهذا الروح بالله تبارك و تعالي فيسلك اليه تعالي مومنا بانه يلاقي ربه و يعرفه فيسئل منه ما يشاء. و منها روح الوحي او روح القدس، يسمع بها كلام الله، يسئل بها العلم من الله تعالي فيسمع ما يجيبه ربه او يعلّمه العلم و الحكمه. فكما ان التلامذة يسئلون اساتذتهم فيجيبون أسئلتهم و يعلّمونهم ما كانوا يجهلون، كذلك الانبياء تلامذة ربهم يسئلونه بروح القدس ما يجهلون فيجيبهم ربهم و يعلّمهم ما جهلوا.

فكل هذه الارواح من جنسية النور و الملائك. و من لم يكن فيه روح من هذه الارواح لايقدر ان يعرف صاحب الروح بروحانيته. فلا يعرف الحيوان الانسان و لا يعرف انسان العالم الذي لا يكون فيه روح العقل انسانَ العاقل الذي اُفيض عليه روح العقل. كذلك لا يعرف الانسان العاقل الذي لم يتجهز بروح الايمان المومن الذي تجهز بهذا الروح، و كذلك لا يعرف المومن روح النبوه. ذلك لانّ كل شيئ يعرف بجنسيته و اَن ثبّت وجودَه باثاره. فلا يُعرف النورُ الا بالنور و لا الروح الا بالروح و لا الملائكه الا بالملائكه، و لا يعرف نور النبوة الا بنور النبوه و لا روح القدس الا بروح القدس، و لا يُعرف الله تعالي الا بالله. فهؤلاء الذين يعترضون علي الانبياء ينكرون نبوتهم و يقولون انهم بشر مثلنا لم يتجهزوا بروح العقل و الايمان، فضلا عن روح النبوه و روح القدس. فينكرون نبوتهم بجهلهم.

ثم يقول تبارك و تعالي في ذيل هذه الايه: و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون و كان ربك بصيرا… يخبر في هذه الايه بانه تعالي جعل ذو المال و الثروه فتنة للفقراء و جعل العلماء فتنة للجهلاء و انه تعالي جعل كل من يفوق علي غيره فتنة علي هذا الغير. فالفتنة بمعني الجاذبية و الجالبيه في شيئ او شخص يعشقه الناس و يطلبونه فيفتتنون به. كالجمال في شخص بالنسبة من يفقده و المقام كذلك في نظر من يطلبه و لا يجده. كذلك كل شيئ من الماديات كالثروة و القدرة او المعنويات كالعلم و الحكمه، يفوق بها الانسان علي غيره فيفتتنه هذا الغير. فالمراة الحسناء فتنة لغيرها و المال و المقام كذلك فتنه و اولادك الصغار و الكبار فتنة. تحبهم و تفتتن بهم فيطلبهم دون الحق. يقول الله تعالي: انما اموالكم و اولادكم فتنة… و يقول: يوم هم علي النار يفتنون… فاخبر بان النار فتنة و النار هي القوي الناريه يصنعون بها الصنايع كالموشكات و البندقات و الصواريح و المرامي و الطيارات و ساير قوي الناريه تفتتن بها الملوك و ذوو القدره، يفوقون بها علي غيرهم. فكل من له امتياز بمال او قدرة او جمال او غير ذلك فتنة لمن يفتقدها و انما يجعل الله تعالي ذوو القدرة و الجمال فتنة ليكون محركا و داعيا لمن يفقدها الي كسب الكمال. فلو كان الناس في اموالهم و اولادهم و مقاماتهم و قواتهم متساوون و لم يظهر لاحد منهم درجة و امتياز بالنسبة الي غيره لوقفوا في حركاتهم و سكناتهم و ينأوا عن الطلب و الاكتساب و هلكوا بذلك .

و لعل هذا معني قولهم عليهم السلام في بيان الحكمة لظهور الدرجات و الطبقات: لو تساووا هلكوا… اي لو كان الناس متساوين في الاموال و الاولاد و المقام و غير ذلك لهلكوا. و الهلاكة هناك بمعني القعود عن طلب العلم و العمل. فكانوا كالحيوانات متوقفين فيما خلقهم الله عليه من اول التولد. فلو اراد الله ان يجعل للناس داعيا الي التحرك و الكمال يجب عليه ان ينصب لهم اعلاما يرونه فيطلبونه. فالثروة و المال و المقام و غيرها اعلام فتنة جالبة جاذبة لمن يطلبها فيتحرك اليها. فالفتنة بين الناس بجعل الله تعالي كما يقول موسي(ع) فيما يناجي ربه حيث اخبره الله تعالي بان سامري قد اضل قومك من بعدك: ان هي الا فتنتك تضل من تشاء و تهدي من تشاء… فالفتنة انما يسمي فتنة حين تسد الناس عن السلوك الي الله و يفتتن الناس بها و يقعدون عن اطاعة الله تعالي. فيكون المال و الاولاد و غيرها حينئذ من حبائل الشيطان يصيد بها الناس و يجرهم الي النار الجحيم. فلو لم يفتتن بها الناس و لم يجعل ذوو الثروة و المال اموالهم فتنة للناس بل انفقوه في سبيل الله و دعوا الناس به الي ربهم لايكون حينئذ فتنة و لايفتتن به احد. و لذلك يخبر الله تعالي عن الملكين ببابل هاروت و ماروت حيث نزلا من عند الله تعالي بين بني اسرائيل يعلّمونهم السحر و الكهانه و يقولون لهم: انما نحن فتنة فلا تكفروا بها.. و هكذا من يفوق بالمال و الجمال و المقام علي غيره

فيخبرهم بان هذه التفوق فتنة لي و لكم .فلست انا اكفر بربي بهذا التفوق بل احب ان اجعلها في خدمة الناس و انفقها في سبيل الله. فصاحب هذا الامتياز لا يصد الناس بماله و ثروته عن دين الله بل يدعو بها الناس الي دينه تعالي. و ذلك مثل قوله( ص )اذ قال: انا سيد ولد ادم و لافخر. فهو عليه الصلوة و السلام اجمل الناس و اعلمهم و اقدرهم علي ما يريد و اقويهم في الحكومه و له العلو في كل فضيلة علي كل البشر ولكنه لا يجعل نفسه بما علا علي غيره فتنة لهم ليفتتن الناس به بل يجعل نفسه في مقام عبد لله تعالي و يجعل الناس كذلك في عبودية الله تعالي. فمن جعل علمه و قدرته و ساير ما يعلو به علي غيره في اطاعة الله لا يكون فتنة و لا يفتتن احد به .

ثم يقول تبارك وتعالي ردا و اعتراضا علي قوم يدّعون في انفسهم:

الایه، 21- و قال الذین لا یرجون لقائنا لو لا انزل علینا الملائكة او نري ربنا لقد استکبروا فی انفسهم و عتوا عتوا کبیرا.. فيطلبون رؤية الله تعالي و رؤية الملائكه و يدعون لانفسهم ان بهم لياقة و مرتبة ان يجانسوا الملائكه او الله تبارك و تعالي يقول في اخر الايه: و لقد استكبروا في انفسهم و عتو عتوا كبيرا.. و هذا الادعاء في الناس يبدء من جهلهم قدر انفسهم و انهم يظنون انهم بشر كمثل الانبياء و المرسلين و لا تفاوت كثيرا بين الافراد من جنس واحد ان يجالس احدهم الملائكه او يخاطبه ربه و يكلمه دون غيره. فما للانبياء انهم كساير الناس و لكن يوحي اليهم و يكلمهم ربهم دون غيرهم. فعلي ما يظنون انهم من جنس الانبياء او الملائكه يقولون مثل هذه الاقوال: لولا انزل الينا الملائكه او نري ربنا.. و قلنا فيما سبق بان افراد الانسان و ان كانوا في خلقتهم الماديه و الترابيه جنس واحد ولكنهم في روحانيتهم و نورانيتهم مختلفون. فبجنسيتهم الحيوانيه و النباتيه و الجماديه يكونون حيوانا و نباتا و جمادا و بجنسيتهم الروحانيه و العلميه و العقليه يخرجون من جنسية الحيوانيه الي جنسية الملائكه. ثم انهم بالعقل و الايمان الكامل يخرجون من جنسية الملائكه الي جنسية الالهيه بالعلم و الايمان الكامل. و يصفهم المولي علي( ع )حين يصف الارواح بالكلية الالهيه. يقول: النامية النباتيه و الحسية الحيوانيه… الي ان يقول: الكلية الالهيه… فهم بالجنسية الروحانيه و الايمانيه يفوقون علي من ليس له هذه الجنسيه. فهم ملك و ان كانوا بلباس الانسان. فمن لم يكن له نور العقل و الايمان و هو في جنسية الحيوانيه، ليس له ان يدّعي او يظن في نفسه ان يرسل الله الملائكه اليه او يكلمه ربه بقلبه. و الاستكبار العظيم ان يظن حيوان انه كمثل الانسان او انسان كمثل الملائك او من ليس له علم و كمال عقل انه من جنس العلماء و العقلاء الكملين. فما لمثل ابي جهل و ابي لهب يظنون انهم من جنس العقلاء المومنين و هم منغمرون في حيوانيتهم و شهواتهم! بل هم كما يقول الله تعالي في شانهم: اولئك كالانعام بل هم اضل… فكيف يمكن لملك من الملائك ان يجانس حيوانا فيوحي اليه او يخاطبه حيوان فيسئل منه علما و كمالا؟ و لذلك يقول الله تعالي فيهم: لقد استكبروا في انفسهم.. اي ظنوا انفسهم من الكبراء الكملين الذين اسجد الله تعالي لهم ملائكته.

و هناك لابد من بيان التكبر و الكبرياء ان تعلم من يكون متكبرا و لمن يكون الكبرياء. فان كان التكبر و الكبرياء في نفسها مذموما غير ممدوح لم يصف الله تعالي نفسه بانه المتكبر و له الكبرياء و لم یفتخر بعضُ الانبياء يزكون انفسهم بما اتيهم الله من النبوة و الحكمه. يقول رسول الله ص: انا سيد ولد ادم و لا فخر.. فنقول الكبر و التكبر و الكبرياء من مادة واحده يدل علي ان من يتكبر و يدّعي الكبرياء له امتياز علي من دونه. ففيه شيئ ليس في غيره فيفتخر علي من يفقد هذا الشيئ من الفضل و المال و الجمال و غيرها علي غيره فيقول انا جميل و انت قبيح، انا ذوالمال و انت فقير، انا عالم و انت جاهل و غير ذلك. فان كان فيه مال او جمال او فضل فيدعي علي غيره ممن يفتقده فيكون صادقا في ادعائه، يصدق و لا يكذب و هذا المدعي و ان كان صادقا في نفسه ولكن هذا الادعاء و التفاخر مذموم من حيث انه يحقّر غيره بما يعظّم نفسه و يصغّر غيره بما يتكبر او يذل غيره بما يعز نفسه و هذا ظلم منه علي غيره مذموم جدا و الظلم قبيح. فصاحب العلم او الكمال او المال او المقام يجب عليه ان يتواضع عند غيره ممن يفقد هذا العلم و المال. و التواضع ان يجعل نفسه في وضع من يفقد ما وجده. فتواضع الغني للفقير ان يجعل نفسه مكان الفقر كانه لا مال له و تواضع العالم للجاهل ان يجعل نفسه عند العوام كانه واحد منهم لا يزيد عليه و لا ينقص منه. هذا ان كان يتكبر بما يكون له و ان كان يتكبر بما لا يكون له فيكون كاذبا كمن يتكبر بالعلم و لا علم له. و مثل هؤلاء يتكبرون علي الانبياء و يظنون انهم مثل النبيين و ليس فيهم روح النبوه و العصمة. هذا يكون انما من جهتين. من جهة انه يكذب فيما يدعي و من حيث انه يحقر غيره ممن يظن انه ليس له ما يدعيه هذا الكاذب. فهو كاذب من جهة و ظالم من جهة اخري. و من عوارض التكبر ان المتكبر يحرم نفسه من نعم الله تبارك و تعالي من حيث انه يظن نفسه عالما فلا يتعلم او غنيا فلا يطلب مالا او عزيزا فلا يكتسب عزة فيبقي في مقام الضعف و الذله. و لذلك اذن الشارع للمومن ان يتكبر عند المتكبر. روي عنه( ع ): ان التكبر عند المتكبر عباده... و انما شرع التكبر لداعية الدفاع و الجهاد. فان الشارع اذن للمومنين ان يدافعوا من انفسهم بعد ان ظلموا. و من اقسام الظلم التحقير. يقول الله تعالي في كتابه: لا يحب الله الجهر بالسوء الا من ظلم.. فاذن ان يشتم بعد ان يُشتم و يحقّر بعد ان حُقر و يوهن الموهن بعد ان اوهن و غير ذلك. و لعل الشارع ياذن بالكذب لمن كذب عليه. و في حديث اخري يقول مولانا امير المومنين: كن ذئبا و الا اكلتك الذئاب... فيجوز لك ان تكذب علي من كذبك و تخون من خانك و غير ذلك من اقسام الجنايات التي يظلم بها الظالم و يُظلم بها المظلومون. و من اقسام الظلم تكبر المتكبرين حيث يحقّرون و يوهنون غيرهم بتكبرهم. فاذن الشارع للمظلوم الدفاع و الجهاد لرفع الظلم و الجناية من كل جان متكبر. فان المظلوم اذا لم يدفع عن نفسه الظلم يتجري الظالم و الكاذب و المتكبر بظلمه و يظن ان له حق ان يظلم و يتكبر فيشيع الظلم بين الناس .

و وصف الله تعالي في هذه الايه ادعاء من يدّعي شيئا لنفسه علي خلاف ما هو عليه بالعتو الكبير فقال: و لقد استكبروا في انفسهم و عتو عتوا كبيرا… فهؤلاء المتكبرون يدّعون لانفسهم روح النبوة و الاخلاص الكامل لله تعالي يظنون انهم يستحقون بادعاء كذبهم رؤية الملائكه و لقاء الله تعالي. فيجيبهم الله تعالي في الاية الاثنين و العشرين بقوله:

الآیة، 22، 23- يوم يرون الملائكه لا بشري يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا... ثم يقول: و قدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا….

فيخبر في هذه الايه بان المجرمين و المستكبرين اذا رأوا الملائكه لا ينالون شيئا في حياتهم يستبشرون به و تقول لهم الملائكه: حجرا محجورا. يعني بذلك ان الملائكه تحجر المستكبرين و المجرمين عن التصرف في امر من الامور و الانتفاع به في دنياهم.

و لابد لنا من تبيين ان الملائكه ما هي في وجودهم و كينونيتهم و كيف يمكن للمستكبرين الكافرين ان يرون الملائكه. فنرجع في وصفهم و معرفتهم الي بيان مولانا اميرالمومنين( ع )في نهج لبلاغه حين يصف الملائكه فيقول:

ثم فتق ما بين السماوات العلي و الارضين السفلي فملأهن اطوارا من ملائكته… الخطبۀ الاولی

فيصف الملائكه بانهم اطوار و الاطوار جمع الطور و منها التطوّر، يعني به حالات مختلفة في حقيقة واحده. و الاطوار غير الافراد. فالافراد اعداد متفردون متشخصون يمتاز بعضهم عن بعض بالحدود و الالوان و هي من خصائص الجسم الذي يتركب من المواد، و الاطوار صفة الروح في الاجسام. يحكي الله تعالي عن نوح النبي( ع ) يخاطب قومه يقول: ما لكم لا ترجون لله وقارا و قد خلقكم اطوارا… اي خلقكم في حالات مختلفه. تارة تكونون صبيا و تارة غلاما و شابا و غيرذلك. و انك لتدري ان هذه الاطواركلها تنشأ في البدن بالروح. فالاطوار صفة الروح يتطور به الابدان. و في خطبته( ع )يصف الملائكه بانهم: سجود لا يركعون و ركوع لا ينتصبون و صافّون لا يتزايلون... الي ان يقول:

الثابتة في الارضين السفلي اقدامهم و المارقة من السماوات العلي اعناقهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم…. فتابي هذه الصفات ان تكون الملائكه افرادا لانّ الافراد يتزاحمون بعضهم بعضا و لا يمكن ان يكون بعضهم في موضع بعض اخري. فالملك الذي اقدامه في الارضين السفلي و اعناقه في السماوات العليا يابي ان يكون معه ملك اخري لانه ملأ السماوات و الارض بوجوده فيزاحمه لو كان معه ملك اخري غيره. و في بعض الروايات عن رسول الله( ص )يصف جبرائيل بانه راه: و قد ملأ الخافقين. فان كان جبرائيل فردا مخصوصا مشخصا يحوي بوجوده المكان فلا يكون معه فرد اخري من جنسه. و الدلائل كثيرة بان الملائكه انوار في وجودهم و الانوار تابي ان تكون افرادا متشخصين بالحدود و المكان. الانوار بسيطة تملأ الارض و السماء و الشرق و الغرب، تعلو المواد و الاجسام كلها ظاهرها و باطنها. فالملائك في العالم بمنزلة الروح في البدن في ذاتها مجرد بسيط فوق زمان و مكان. و في ايات اخري ايضا يحكي عن الملائكه بمثل هذه الحكايه حيث يقول:

و قالوا لولا انزل عليه ملك و لو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لاينظرون... و في اية اخري يقول: و ما ننزل الملائكة الابالحق و ما كانوا اذاً منظرين .

فيخبر في هذه الايات بان الله تعالي لو نزّل الملائكه عليهم لقضي الامر حينئذ و لا ينظرون، و معني قضاء الامر و رفع الانظار خاتمة حياة الدنيا و بدو حياة الاخره. لان امتياز الواقع بين الحياتين ثبوت الانظار و المهلة للعاصين و الكافرين لعلهم يرجعوا عن كفرهم و عصيانهم و يتوبوا الي ربهم و لا توبة لِاَحدٍ في الحياة الاخره. فقضاء الامر في الدنيا و رفع الانظار عن الكفار يتوقف علي نزول الملائكه و رؤية الناس اياها. فانه تعالي جعل من علائم القيامه و حياة الاخره نزول الملائكه صفا صفا. يقول في هذه السورة ايضا:

و يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكة تنزيلا… و في سورة الفجر يقول:

و جاء ربك و الملك صفا صفا و جيئ يومئذ بجهنم…

و ذلك لان ظهور الملائكه في العالم و رؤية الناس اياهم دليل اليقين الكامل بالغيب. فالغيب بهذا الظهور ينقلب شهودا و لا حكمة في تكليف الناس بالاحكام حين شاهدوا الحق و وصلوا باليقين القاطع الكامل. و هل يجوز ان تحرم علي الناس دخول النار حين يرونها و يسمعون لها تغيظا و زفيرا؟ او هل يجوز ان توجب دخول الجنه علي الناس حين يرونها و قد ازلفت للمتقين ؟ فمن الذي لايدخل الجنه و هو يريها او يدخل النار و هو يريها و يسمع تغيضها و زفيرها؟ و من الذي لا يومن بالملائكه بعد ان يرونها يعملون ما يشائون بامر الله تعالي؟ او من الذي لا يؤمن بالانبياء و الاولياء و هو يريهم في الجنه متنعمين و من الذي لا يعتقد كفر الكافرين و هو يريهم في النار معذبين؟ فالتكليف و الامتحان و الانظار لانتظار التوبه انما يجوز اذ كان هذه المسائل غيبا غائبا ليمتحن الله تعالي من يومن بالغيب ممن لا يومن و لذلك يقول: الذين يومنون بالغيب و يقيمون الصلوة… و في هذه الايه ايضا يخبر الله تعالي عن الكافرين بانهم اذ يرون الملائكه لا بشري لهم فيحجرهم الله تعالي او الملائكه عن التصرف و الانتفاع بنعم الله تعالي. و يخبر بانهم حينئذ محرومون من النعم كلها. و في هذه الايه لطيفة اخري يظهر للمتامل المتعمق حين اذ يري الناس في تكاملهم العلمي مما بدئوا و الي ما وصلوا. فان الناس علي خلقتهم و فطرتهم متحركون الي ما يريدون من الانتفاع بما خلق الله تعالي و في تحركهم متكاملون ينالون كل يوم مالم ينالوا قبل ذلك. فانظر الي ميدان هذه الحركه لتعرف المتحركين فيها بدوهم و ختمهم تكشف بذلك سر هذه الايه .

فالميدان هو العالم و ما فيها و ما عليها مما خلق الله تعالي و جعلها من ايات عظمته و قدرته حيث يقول: سنريهم اياتنا في الافاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق… و هذا العالم و ما فيها كتاب مخلوق تكويني يقرؤها كل من يريها من افراد البشر من يقدر منهم ان يتعلم علمه. فلهذا العالم و ما فيها اصول و فروع كما في ساير الكتب التدويني ممايقرء و يكتب. فانظر الي كتابك مما يبدء و الي ما ينتهي. يبدء بالحروف الهجاء فينتهي الي الكلمات و من الكلمات الي الكلام و من الكلام الي المعاني. فالحروف اصول لظهور الكلمات و الكلمات فروع يتفرع عليها. كذلك هذا الكتاب العظيم اعني العالم و ما فيها كتاب مبين كتبه الله تعالي بيده لا ريب فيه. فيها كلمات كثيره لا تحصي و عبارات متركبه من هذه الكلمات.

و من كلماته الجامعة العظيمة الانسان. ففي هذا الكتاب ايضا اصول و فروع كما في كتب الخطي .

فاصولها تسمي بالعلل الماديه. اعني بهذا العلل الماديه ما يبدء منه الخلائق و يصنع بها الصنايع. فان الله تعالي أبدء اصولا هي الحروف لصنع الكلمات و العبارات، اعني بها الخلايق. فاسئل من عقلك و نفسك او من عالم يعلم ذلك مم صنع الصنايع و مم صنع الانسان؟ فلابد هناك من اصول يتفرع منه الفروع، كالماء و التراب اصل لظهور النباتات و الحيوانات. كذلك المواد و غيرها مما يحيي بها اصلٌ لظهور المياه و الاجسام و ساير الخلايق. فهناك في هذا الميدان لا تري الا ما خلق الله تعالي من الجماد و النبات و الحيوان و النور و الظلمه و غيرها مما خلق الله تعالي في الارض و السماء. فاذا بدات الحركه من الفروع الي ما ورائها تنتهي بحركتك الي الاصول كما انك اذا بدات الي كلمة من الكلمات و الجملات تنتهي الي الحروف التي صنعت به الكلمات. فنقول في هذا الميدان الذي يصفه بالعالم او يصفه العالم بالكتاب التكويني اصول و فروع. ففروعه ما نري و نعرف باعيننا و ساير حواسنا و اصوله ما نعلم و نكشف بالتامل و التعمق. فالانسان المتامل المتفكر يبدء حركته مما يري الي ما لا يري كساير المسافرين.كما تري الناس في فروع العالم متفكرون منتفعون بما خلق الله تعالي من المواد و مشتقاته من الجماد و النبات و الحيوان. فهم كل يوم في كشف جديد كما تريهم ينتفعون بالهواء و الماء و المعادن و ساير المايعات الناريه و غيرها. فهم في هذا الميدان متحركون مكتشفون الي ان وصلوا من فروعها الي اصولها و اصول هذا الفروع اعني الخلايق علي قسمين يتفرع الفروع بهما و منهما.

الاصل الاولي المادة التي يبدء بها الاجسام و سمّاه الله تعالي ظلمات حيث يقول: جعل الظلمات و النور.. و انما سماه الله تعالي ظلمة اذ هي شيئ في ذاتها لا حياة لها و لا نور و لا حركه. و الاصل الثاني النور. بها يظهر الحياة و الحركه و الضياء في المواد. و هذا الاصل في ماوراء الماده محيطة بها بظاهرها و باطنها. فالمادة قابلة للرؤيه و التصرف فيها و بها ولكن النور في ذاتها غير قابلة للرويه الا بعد التركيب او الانعكاس بالماده كما ان الروح في البدن غير قابله للكشف و الرؤيه الا بوسيلة البدن و ساير الاجسام.

فالكفار في كشف المادة و الماديات متكاملون متصرفون بها منتفعون لا يقدرون علي الخروج من ميدان الماده الي ما ورائها ليتصرفوا بما في وراء الماده و الطبيعه كما يقول الله تعالي:

يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلا… فاخبر انهم محرومون ممنوعون عن كشف الروح و العلم بها فضلا عن التصرف فيها. و الروح علِمناها سابقا من جنس النور، و النور ملك و الملائك انوار مجرده. فمن حيث ان هذا الانوار يتعلق بالابدان و الاجسام يسمي روحا و من حيث انها بيد الله تعالي يفعل بها ما يشاء يسمي ملكا. و لذلك يصف القران الملائكه تارة بالروح و تارة بالنور و تارة بالعلم يقول: اوحينا اليك روحا من امرنا... و يقول: انزلنا اليكم نورا مبينا.. و يقول: ارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا….

فالملائك ارواح و الارواح ملائكه. و في هذه الايه ايضا يخبر عن هذا السر بان الكفار في تكاملهم و تصرفاتهم و علومهم بالمواد و خواصها كل يوم في كشف و تصرف نعمة من نعم الله تعالي يظهر لهم بكل كشف بشارة كما تريهم يكتشفون المواد و المعادن يصنعون بها هذه الصنايع العجيبه من الطيارات و السيارات و الات الحرب و المخابرات. فاذا ارادوا ان يتجاوزوا عن المواد الي ماورائها ليتصرفوا في روح الماده و ما به يحيي و يموت و ينتفعوا بها فلا بشري لهم حينئذ و تقول لهم الملائكه حجرا محجورا. و منع الملائكه هي منع التكويني. يخبر بان الكفار في وضعهم من التفكر و الاكتشاف لا يتجاوزون الماده و الاجسام الي ما ورائها فهم محرومون ممنوعون الا ان يرجعوا الي اطاعة الله يسلكون اليه علي صراط المستقيم . ثم یقول فی آیة الثلاثة و العشرون:

و قدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا… تخبرهذه الايه بان الكفار او البشريه اذا وصلوا الي هذا الحد اي جاوزوا الطبيعة و الماده الي ورائها و راوا او علموا بان ماوراء الطبيعه هي الروح او الملك لا يقدرون ان ينتفعوا بروح الحياة او يستخدموا الملائكه. فحينئذ تقوم قيامتهم يرفع عنهم المهلة و الانظار و يقوم القائم فيقدم علي ما عملوا من الصنايع و الالات فيجعله هباء منثورا. و ذلك ان القيامه لا تقوم الا بعد انقضاء الدنيا. فان الدنيا و الاخره يتلو بعضها بعضا كما يتلو الليل النهار و النهار الليل. فان الحياة الدنيا تقوم و تدوم بعمل الانسان و فعله و اجتهاده لصنع الحياة الدنياويه. فهم في مهلة و انظار و انتظار ينتفعون بما خلق الله تعالي علي وجه الارض من عناصر الهواء و الماء و التراب و النار و ما فيها و ما بهما. فالناس في جدهم و اجتهادهم يصنعون كل يوم او كل عصر صنعا من الصنايع كالسيارات و الطيارات و غيرها حين افتتنوا بالنار و الحراره فينتفعوا بها في صنايعهم كما يقول الله تعالي: يسئلون ايان يوم الدين يوم هم علي النار يفتنون.. فاذا افتتنوا بالقوي الناريه الي ان بلغوا النهايه و وصلوا النار الكبري حيث يقول تعالي: و يتجنبها الاشقي الذي يصلي النار الكبري.. فحينئذ تقوم القيامه بقيام القائم( ع )فيبطل مثل هذه الاعمال و الصنايع كلها. فانه عليه السلام اذا قام لا ينتفع بمثل هذه الصنايع من مثل الاذاعه و التلفيزيون و الطياره و امثالها بل انما ينتفع بصنايعه الاعجازيه و الاراديه فيكشف بارادته الامراض و الاسقام كلها علي وجه الارض. يقول مولانا ابوعبدالله الحسين ع: ثم لايبقي علي وجه الارض مُقعد و لا مبتلي الا و كشف الله بلائه بنا اهل البيت… فيبطل حينئذ الطب و الصنايع الطبيه كلها و كذلك ساير الصنايع. فاذا اراد احد ان يخاطب غيره في غرب الارض و هو في شرقها يخاطبه بلسانه و يريه بعينه. او اذا اراد ان يسافر من شرق الارض الي غربها ينتقل بطيّ السماء و الارض. فيبطل هذه الصنايع و الاعمال كلها فلا يحتاج اليها من جعل الله تعالي بيده السلطان و صنايع الاعجازيه. و لذلك يقول: و قدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا.. فنسئل عمّن يظن انه علیه السلام اذا قام يكون قيامه كساير القيامات قبله من قيام الانبياء و الاولياء، فاذا كان قيامه( ع )كذلك، لابد ان ينتفع بمثل هذه الصنايع و صوانعها من مثل علماء المسيحيه او اليهوديه. فانك تري ان هذه الصنايع كلها بيد الكافرين. فاَمّا اِن ينتفع بمثل هذه الصنايع، فلابد له ان يستخدم هؤلاء العلماء في دولته، او يبطلها و اعمالهم فيخرج ايدي الكفار صفرا من النعم كلها علي وجه الارض. فانه جاء في الروايات المشعره بقيامه( ع )انه يفتح الارض كلها شرقها و غربها فيملأها قسطا كما ملئت ظلما و جورا. فلا يبقي احد من الكفار في دولته و حكومته ليعمل مثل هذه الاعمال و يصنع مثل هذه الصنايع . و اما اِن يدع الناس في حياتهم الابتدائيه كما يقال(عصر الحجر)، ينتفعون بوسائلهم الابتدائيه من المراكب مثل الحيوانات او المنابع و المطابخ و المصابيح الابتدائيه من اشعال النار و غيرها فكيف يمكن ان يرجع بالناس قهقراء يسلب عنهم مثل هذه الوسائل؟ او كيف يمكن ان يقابل بالسيوف و الرماح و رمي الاحجار فيقاتل به تلك الطيارات و الموشكات و البندقات و غيرها؟ فيجب علي الله تعالي ان يجهزه بمصانع و اسلحة فوق هذه الصنايع و هي لايكون الا الاعجاز. فيبطل تلك الصنايع كلها و يجهّز المومنين بما جهّز الله تعالي به الانبياء و المرسلين ان يقولوا لما ارادوا كن فيكون. كما يقول الله تعالي اذا اراد شيئا كن فيكون. فيبطل هذه الصنايع و الاعمال كلها كما اخبر الله تعالي في هذه الايه. و بعض المفسرين يظنون بان ابطال هذه الاعمال انما هي العبادات. يقولون يبطل الله تعالي يوم القيامة صلاتهم و صيامهم و حجهم و زكاتهم و ساير العبادات اذ لم يكن عباداتهم علي وفق اطاعة الله تبارك و تعالي. فلا يؤجرون علي اعمالهم العباديه و غيرها كما روي عن الائمه علیهم السلام ان: لو احد يعبد الله تعالي بين الركن و المقام حتي تصير كالشن البالي و لم يات بولايتنا اهل البيت لاكبه الله تعالي علي النار. و هذا تفسير صحيح و راي قاطع، اذ العبادات انما يصح اذا كان علي طبق ما امر الله تعالي و لا يطلب امر الله تعالي و نهيه الا بامام نصبه الله تعالي و رسوله. فمن لم يكن له امام منصوب من قبل الله تعالي لم يكن دينه و طريقه اليه تعالي و من يشرك به فقد حبط عمله و هو في الاخرة من الخاسرين. و ذلك لان الامام المنصوب من الله تعالي طريق الي الجنه. فمن لم يكن له امام ليس له طريق يسلكه فهو كمثل ضال في الفلوات ولكن الاعمال في هذه الايه و غيرها غير الافعال. فالافعال حركات و سكنات يظهر فيذهب و لا يبقي منه شيئ و الاعمال تجسم الافعال. فمن بني دارا او زرع زرعا و حرثا و صنايع غيرها ذهب فعله و بقي عمله. فهذه الابنيه و الصنايع كلها اعمال نتجها فعل الفاعلين كما تقول هذا البناء عمل فلان و هذه الطيارة و السياره كذا. فذهب الافعال و بقي الاعمال مجسمة مرئيه ملموسه. فاذا ظهر الامام( ع )و قام بقيامه القيامه يبطل تلك الصنايع كلها و تصير ارض الدنيا جنة الاخره كما يحكي الله تعالي عمن دخل الجنه يقول: الحمد لله الذي صدقنا وعده و اورثنا الارض نتبوء فيها من الجنه حيث نشاء فنعم اجر العاملين… فيخبر بان الله تعالي جعل الارض جنة و اورثها عباده المتقين. فهو( ع )اذا قام يفتح مشارق الارض و مغاربها و يجعلها جنة للمومنين. فلا يحتاج احد في حياة الجنه الي مثل تلك الصنايع لان الله تعالي يجعل ارادة الامام و المومنين كمثل ارادته يفعل ما يشاء و يحكم بما يريد و لا يستعين لما يشاء بغيره .

فقيامه عليه السلام تحول و انقلاب في ثلاثة مواطن. و انك تدري ان التحول و الانقلاب بمعني اخراج الناس عما فيه و عليه الي ما لم يكونوا فيه و عليه، كتحول الانسان من الجهل الي العلم او من الكفر الي الايمان او من الظلمه الي النور. فينقلب الناس بقيامه عليه السلام في ثلاثة مواطن. الاولي انقلابه و تحوله في طبيعة العالم و ما هي عليه الان فينقلب بقيامه الشهور و السنوات و دور الافلاك. و ما اكثر في الروايات و الاحاديث بان من علائم قيامه( ع )طلوع الشمس من مغربها. ففي تحف العقول عن الباقر( ع )في تفسير اية: حتي تضع الحرب اوزارها… يقول: لا تضع الحرب اوزارها حتي تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت الشمس من مغربها امن الناس كلهم يومئذ و لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا… فينقلب دور الارض من المشرق الي المغرب كما هي الان من المغرب الي المشرق. ثم يرفع الاختلاف بين البروج و الشهور فيرجعان الي الاعتدال. فان البروج يزيد ايامه علي الثلاثين في بعضها و الشهور ينقص من ايامه من الثلاثين. فترجع كلها الي الثلاثين كل سنة ثلاث مأه و ستين يوما. و لعل هذا يكشف من كتاب الله تعالي حيث يقول: و جمع الشمس و القمر..

و اما انقلابه و تحوله في الطبايع. يجعل الله تعالي هذه الارض بقعة من بقاع الجنه يفتح به علي الناس البركات من السماء و الارض بكيفية الاراده فيطلب المومن من شجرته من الفواكه ما يشاء فيجيبه و ليس هذه البركات من طريق الحرث و الغرس بل ارادة الله تعالي كجنة خلق الله تعالي فيها ادم و زوجته و قال: كلا منها رغدا حيث شئتما.. فيجمع الله تعالي الناس علي صعيد واحد شرقها مثل غربها و غربها مثل شرقها كلها ينقلب جنات عدن تجري من تحتها الانهار فينقلب كل الارض علي اعتدال واحد و نسيم هواء مروح مفرح. يرفع عن الارض كلما لا يفيد كمثل حشايش و ينبت فيها كلما يفيد و ينفع كمثل الريحان و الزعفران و غيرها. فحينئذ يبدل الارض غير الارض .

الثاني انقلابه في طبايع الناس و حياتهم. يرفع عن الناس اولا المهله و الامتحان و لا فتنة ليفتتن الناس بها احد و لا شيطان و لا شيطنه كما تقرء في كتاب الله تعالي: قال انظرني الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم… فيرفع عن الناس الحلال و الحرام و الاحكام و العبادات كمثل الحج و الجهاد و غيرها لان هذا كلها من داب حياة الدنيا التي يمتحن الله تعالي بها عباده ليبلوهم ايهم احسن عملا. فانه( ع )انما يقوم ليحاسب الناس و يجازيهم علي اعمالهم لا ان يكلفهم بالخير و الشر فتنه. كما حكي عن علي علیه السلام: اليوم عمل بلا حساب و غدا حساب و لا عمل.. فقيامه قيامة و ساعة و غدا يجازي الناس علي اعمالهم .

و لذلك روي عنهم عليهم السلام: حلال محمد حلال الي يوم القيامه و حرامه حرام الي يوم القيامه .

فكيف جعل رسول الله( ص )لحلاله و حرامه مدة مع انه( ص )انما حرم الخبائث و احل الطيبات و لا معني لانتهاء مدة الحلال و الحرام؟ هل يحل الخبائث يوما او هل يحرم الطيبات؟ فالغيبة و التهمه حرام مثلا، كذلك قتل النفوس و هتك العرض و سرقة المال و امثال ذلك. هل يجوز ان يحل يوما هذه الاعمال او هل يحرم صلة الرحم و صلة المومنين المتقين و تعاونهم علي البر و التقوي؟ فيقال ان مِثل هذه الحلال و الحرام ابدي. فحرمة السرقه الي الابد حيث دامت الحياة، كذلك حلية التعاون و صلة الرحم. فكيف جعل رسول الله صلی الله علیه و اله انتهائا لحلاله و حرامه و يقال يرفع الحلية و الحرمه في يوم القيامه؟ فيجاب ان هذه الاحكام من الحلال و الحرام و الواجب و المكروه كلها انما هي في زمان خلق الله فيه خبيثا و طيبا، فاحل الطيبات و حرم الخبائث. ففي الاخره لا يخلق الله تعالي خبيثا ليحرمه و لم يمنع الناس من الانتفاع بالطيبات. فالناس في الاخره كلهم في علم و حكمه و تقوي و فضيله. لا يقدمون بعلمهم و ايمانهم علي حرام و مكروه ليمنعهم الله تعالي و لا يدعون طيبا ليامرهم الله تعالي. انما الامر و النهي يجوز لمن يجهل الخير و الشر و الحلال و الحرام فيامرهم بالخير و يمنعهم عن الشر و هذه داب الدنيا يعيش الناس فيها في جهل و في حكومة الجاهلين، لا يعلمون الفساد من الصلاح فيجب علي اوليائهم التعليم و التربيه بجعل هذه الاحكام. و اما اذا علموا الفساد و الصلاح و اندمجوا بروح الايمان و التقوي فصاروا بذلك من اهل الجنه انقلبوا حكماء علماء. فهم اكرم من ان يامرهم الله تعالي و ينهيهم. فهل يجوز لك ان تامر ضيفك العالم الحكيم في بيتك او تنهيه و تقول افعل كذا و لا تفعل كذا؟ بل يجب عليك ان تكرمه عن ذلك و تجعل ما في بيتك بيده يفعل ما يشاء و هو اكرم ان يخونك او يكن من غير اهلك. فيكرمهم الله تعالي عن امره و نهيه بل يجعل الجنه كلها بايديهم. فيجعل عليه السلام الناس بقيامه في هذا التحول العظيم، يجعلهم احرارا في دينهم و انه يدفع كل خبيث عن وجه الارض او نفوس الناس. فاذا لم يكن خبيث في الارض لم يكن حرام فيها ينهينا ربنا عنها و اذا لم يكن جهل و سفاهة في انفسنالم يكن فيناخلق ينهينا ربنا عنها. فهل يغتاب اهل الجنه او يسخر بعضهم بعضا او يهزء بهم؟ كل ذلك من اخلاق اهل النار، و اهل الجنه براؤا عنها. فعليذلك ينتهي الحلال و الحرام بقيامه( ع )و قيامه هي القيامه. فيسد باب التوبه فينتهي بها العبادات لان هذه العبادات جعل لظهور التوبه يتوب بها العاصي الي الله تعالي. فلا توبة حينئذ ليعبد الله من ترك العباده كما يقول الله تعالي: فيومئذ لا ينفع نفس ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا. قل انتظروا انا منتظرون… و ثانيا ان الناس كلهم ينقلبون في ولاية الامام( ع )و يعلمون ان الامام ناظر عليهم في خلواتهم و جلواتهم فلا ينوون المعصيه فضلا ان يعصون .

و الثالث: انقلابه في كيفية الحياة. فيرفع( ع )عن الناس هذه المتاعب و المشاق في كسب ما يعيشون به. فكيفية الحياة في الدنيا قبل قيامه و انقلابه انما هي من طريق الكسب و الاكتساب و الشغل و الاشتغال. يزرعون و يحصدون او يغزلون و يحيكون و يخيطون و كذلك ما من لقمة و طعمة يرزقهم الله تعالي الا بعرق الجبين و كد اليمين كما يقول الله تعالي: ليس لهم طعام الا من ضريع... اي لا طعمة لهم من الارزاق الا بعد ان يضرّعهم الله تعالي و يجهّدهم في تعب و مشقه. و في الحديث: اوحي الله تعالي الي الارض ان لا ترزقي العباد الا بعرق الجبين و كد اليمين.. و انما جعل الله تعالي الحياة الدنيا عن طريق التعب و المشقه لان الناس لم يقعوا من ابتداء خلقهم و تكليفهم في اطاعة الله خالصا مخلصا. فيقومون لامر معادهم و معاشهم برأيهم و اختيارهم و لا يقومون في ظل اطاعة الله تعالي فكل انسان علي وجه الارض كابيهم ادم حيث ادخله الله تعالي في الجنه و قال: كلا منها رغدا حيث شئتما… و نهيهما عن التقرب بشجرة الخبيثه و هي النفس و هويها. فاكلا من شجرة انفسهما، عملا طبق رايهما و هويهما التي انبعثت من شجرة النفس التي هي امارة بالسوء و لم يستظلا بشجرة الطيبه و هي العقل في الباطن و ولاية الله تعالي بقيام اوليائه في الظاهر. فاخرجهما الله تعالي مما كانا فيه و جعل لهم الارزاق من كد يمينهم و عرق جبينهم. كذلك ابناء ادم كل يعملون علي شاكلتهم. فتريهم يَدَعون الانبياء و الاولياء و يعملون بارائهم. فلذلك قدر الله تعالي لهم الارزاق من طريق الكد و التعب و ابتلي بعضهم ببعض، جعل منهم غنيا و فقيرا و عالما و جاهلا و قويا و ضعيفا. فامهلهم الله تعالي في حياتهم الدنيا ليميز الخبيث من الطيب .

هذا كلها في حياتهم الدنياويه حيث قدر لهم الموت و الحياة. و اما في حياة الاخره بقيام القائم( ع )يرفع المهلة عن الكافرين و الظالمين و يسد عليهم باب التوبه و يفرج الله تعالي عن المومنين. يرفع عنهم الالام و الاسقام و الموت كلها فهم في رحمته و نعمته تعالي امنين متمتعين يجعل حياتهم فيما وعدهم من الجنه و يخرج ايدي الكفار صفرا من النعم كما يقول: قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه… و قيامه( ع )يوم القيامه. فيحصل لهم الارزاق و ما يعيشون به بكيفية ارادة الله تعالي كما كان لادم في الجنه. فيبطل هذه الاشتغالات و الاكتسابات و الصنايع كلها. فالمومنون في نعيم دائم في شغل فاكهون و الكفار معذبون بنارهم التي اوقدوها علي انفسهم في حياتهم الدنياويه محرومون عن النعم كلها. فبهذه التحولات الثلاثه يظهر حياة الاخره و ينقضي بها الحياة الدنيا. فالحياة الدنيا في مواطن الثلاثه التي كانت كلها مصنوع الانسان او مصنوعا للانسان علي قدر معرفته و طاقته. فمثل السيارات و الطيارات و غيرها صنايع صنعها الانسان بعلمه و قدرته و هكذا المعلومات و التفكرات كلها ايضا مصنوع الانسان. فالانسان هي الذي اظهر لنفسه في نفسه مثل هذه العلوم و المفاهيم و السنن و الاداب و سايرالقوانين و القواعد التي نشات بفكره لاقامة الحياة الدنيا و دوامها. كل ذلك العلوم و الكتب و السنن انشاها و صنعها الانسان بتفكره و تعقله. و الصنايع الطبيعيه كمثل الارزاق و الثمرات و المعادن و ان صنعه الله تعالي بارادته و قدرته ولكنها كلها ايضا مصنوع و مخلوق علي قدر طاقة الانسان و تفكره .

فانظر هناك الي مركبين كلاهما مخلوقين لله تبارك و تعالي خلقها للانسان. احدهما الحمار و الفرس و الابل و الثاني البراق التي ركبها رسول الله( ص )ليلة معراجه. فكلا هذين مركبان مخلوقان لله تعالي لراكبَين مختلفَين في العقل و الايمان. فالحمار و الفرس لنا لضعف عقلنا و ايماننا و البراق لرسول الله( ص )لكمال عقله و ايمانه. و كذلك حياة الدنيا و الاخره. فالحياة الدنيا و ارزاقها و ان كان مخلوقا لله تعالي الا انها البسة قُدّها الله تعالي علي قدر قامتنا. فاذا كنا ناقصين غير كاملين في عقولنا و ايماننا يجب علي الله تعالي ان يجعل الحياة لنقصان عقلنا. فلا يجوز حياة الكامل للناقصين. و لذلك اخرج الله تعالي ابانا من حياة الجنه الي الحياة الدنيا. فاذا قام القائم( ع )فتح الله تعالي به الحياة الاخره فيرفع به هذه النواقص في مواطن الثلاثه و يجعلها كاملا لكمال الانسان حين ظهوره( ع ). فيجعل للراكبين مكان الابال و الحمير و السيارات و الطيارات البراق و مكان هذه الارزاق من طريق التعب و المشقه فواكه الجنه فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين. فكل ما جعل الله تبارك و تعالي بايدينا في الحياة الدنيا فيما نحتاج اليه من ارقام النعم في حد صفر او درجة فوق الصفر.

فانظر الي ما جعله الله تعالي من الارزاق للحيوانات و جعل للانسان. فجعل الخبائث للحيوانات و الطيبات للانسان و قال: احل الله لكم الطيبات و حرم عليكم الخبائث. و انما جعل الخبائث للحيوان لنقصان عقله او فقده و جعل الطيبات للانسان لظهور العلم و العقل فيه و قال في كتابه: الخبيثات للخبيثين و الطيبات للطيبين… فعلي هذه المدارج كلما كمل الانسان في عقله و ايمانه كمل له مواد العيش و الحياة. فجعل الحياة الدنيا طعمة للكافرين لنقصان عقلهم و ايمانهم و حياة الاخره طعمه للمومنين لكمال عقلهم و ايمانهم. فقال رسول الله( ص ): الدنيا سجن المومن و جنة للكافر. فاذا قام قائمنا( ع )فتح الله تعالي لنا به ابواب الارض و السماء فيرفع الله تعالي به هذه المتاعب و النواقص و المشاق في كل شان من شئون الحياة و يرفع به الالام و الاسقام و الموت كلها عن وجه الارض و يحيي به الاموات فيجعل بايدي المومنين و المتقين ما كمل من وسائل العيش و الحياة فيجعل الحياة حياة الجنه كما يصفها في كتابه. لانه لا يجوز لله تعالي و لاوليائه علیهم السلام ان يجعلوا الناس من يكون في ولايتهم في كد من العيش و تعب من الحياة و فقر من النعم كلها. فيجعل تعالي به العيش و الحياة كاملا مما يريد. فعيش الاخره عيش الكامله .

ثم يقول بعد هذه الايه بان:

الایة 24- اصحاب الجنة یومئذ خير مستقرا و احسن مقيلا.. و هذه الايه علي مدار انتخاب الاشرف فالاشرف و الاحسن فالاحسن كما يقول في اية اخري: و كتبنا في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون... و امثاله كما يقول: و العاقبة للمتقين... و يقول: و اما ما ينفع الناس فيمكث في الارض… كل هذه الايات علي مدار انتخاب الاحسن. فانه تعالي اذا اراد اهلاك قوم و احياء قوم اخري او اذا اراد ان يوتي ملكه من يشاء كما يقول: توتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء…كل هذه الامور علي مدار الانتخاب. و كذلك علّم الانسان انتخاب الحسن فالاحسن. فانك اذا اردت شراء شيئ و جلب شيئ معك و اكل شيئ او التزويج من احد تنظر الي الطفها و احسنها ذوقا من الفواكه و اجملها من النساء. فخلق الله تعالي الانسان علي مدار ما يفعل و يختار. فيخبر في ايات بانه تعالي ينظر علي وجه الارض يوما من الايام فيبطش عليهم البطشة الكبري ينتقم من الكافرين و الظالمين و يقدم الي ما عملوا من عمل فيجعله هبائا منثورا. فانه ياتي علي وجه الارض ايام ينقلب الناس في هذه الايام بعقولهم و حلومهم و افكارهم عالميا بشريا. فيجعل الله تعالي الارض تحت قدمي كل انسان من النساء و الرجال فيحيط في هذا الزمان كل من يكون علي وجه الارض من النساء و الرجال و الولدان بفكرهم و علمهم الارض كلها بامصارها و بلدانها و اقاليمها و صحاريها و براريها. كان الارض قطعة صغيرة تحت يدي كل من يعيش فيها، كانّ الله تعالي جمع الارض كلها في بيت واحد بيدي رجل واحد يري و ينظر شرق الارض من غربها و غربها من شرقها كما يقول ابوالعلاء المعري في وصف العالم الفقيه السيد رضي قدس سره: اذا رايته لرايت الناس في رجل و الدهر في ساعه و الارض في داري… فيصف جامعية هذا العالم يقول انه جمع كل العلوم مما في النساء و الرجال في صوره و فكره فكانه كل الرجال علي وجه الارض و انه احاط بعلمه علي جميع طبقات الارض فكانه جمع الاقاليم و البلاد في بيت واحد، و كذلك بالازمنه كلها. جمع الازمنة من الدهر في ساعة واحده فكانه بوحدانيته و فردانيته كل الارض و تمام الدهر. يصف الانسان في ابياته هذا بانه يزكو و ينمو بفكره و علمه الي ان احاط بالارض او احاط بالعالمين .

فان الانسان من بدو تولده الي وفاته في رشد و نماء بعلمه و شعوره. يعرف اول الامر داره التي ولد فيه و بعد اليوم القرية التي نشاء فيه و بعد ذلك البلاد و الامصار الي ان يعرف الارض كلها او يعرف العوالم و العالمين كما يقول الله تعالي، يصف رسوله( ص )بانه تعالي ارسله الي كافة من الناس و جعله رحمة للعالمين. و ذلك بكثرة علمه و سعة صدره و قدرته و استعداده. فلا يجوز ان يملك مثل هذا قرية او بلدا او اقليما من الاقاليم. فينقلب البشر في اخر الزمان حين اقتراب الساعه و قيام الامام( ع )عالمية ارضية. فكان كل واحد منهم نشأ في الارض كلها و عرف ما علي الارض جميعها. فحينئذ تصير الارض كانها دار واحد بيد رجل واحد. فاذا اراد الله تعالي شيئا اراده لجميع اهل العالم، او اذا منع منعه عن جميع اهل العالم. فاذا قل الارزاق في اقليم من الاقاليم و كثر في اقليم اخري يهاجر من هذا الي هذا او يوتي بالارزاق من هذا الاقليم الي هذا. فحينئذ ينقلب الناس في كلما علي وجه الارض فرقتين مختلفتين خبيث و طيب. ياتي اوان هذه الايات فينظر الله تعالي الي اهل الارض يقدر العذاب للخبيث منهم و الفرج للطيب منهم. يقدر العذاب اولا و الفرج ثانيا كما يقول: و ان من قرية الا و نحن مهلكوها قبل يوم القيامه او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا…و الحديث يخبر عن هذه الحادثه قبل قيام القائم يقول: يقتل ثلاث من الناس و يموت ثلاث و يبقي ثلاث. فثلث الباقي هم المعذبون في هذه الايه اذ يقول: او معذبوها عذابا شديدا.. و يخبر هذه الايه ان حرب العالمية الثلاثه بالنار و الدخان كما يقول: تاتي السماء بدخان مبين يغشي الناس هذا عذاب اليم... فانظر الي ما صنعوا من الصنايع الناريه المهلكه و هي النار الكبري يرمي الي البلاد بهذه الموشكات الحامله لهذا النار كما يقول الله تعالي: انها ترمي بشرر كالقصر كانها جمالة صفر... او يقول: يصلونها يوم الدين... اي يصلون النار الموقده يوم قيام القائم. فلابد ان يكون قبل القيام لمكان اية الاولي: وان من قرية الا… او يقول في اية اخري: و لنذيقنهم من العذاب الادني دون العذاب الاكبر... فالعذاب الاكبر عذاب الساعة و القيامه و العذاب الادني عذاب الدنيا قبل القيامه .

فحينئذ ينظر الله تعالي علي وجه الارض فيختار اشرفهم و احسنهم دينا و مقالا و هم شيعة اميرالمومنين( ع )لانهم اهل دين الله فهم اصحاب الجنه خير مستقرا، لان افكارهم استقرت و تمركزت لقيام القائم، ينظرون يمينا و شمالا و لاينظرون خيرا الا بقيامه. فكل من ينتظر يومه استقر فكره و رجائه بقيامه يعلم قطعا انه لافرج الا به. و يقول في اية اخري: الي ربك يومئذ المستقر… و الرب في هذه الايه هو الرب في اية اخري: و اشرقت الارض بنور ربها… فاصحاب القائم و محبّوه و شيعته خير مستقرا و احسن مقيلا. يخرج امامهم و يفرج عنهم و يستاصل اهل العناد و التضليل. فيعرّض الله تعالي في هذه الايه اهل الكفر و العناد الذين علي وجه الارض و ملأوها ظلما و جورا بانه يقدم علي اعمالهم فيجعلها هباء منثورا و يجعل الارض بيد اصحاب القائم لانهم خير مستقرا، استقرّوا بظهور الامام( ع )و احسن مقيلا لانهم يقولون ان الارض لايصلح الا بقيام الامام المنتظر.

الایة 25، 26 - ثم يقول بعد هذه الايه : و يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكه تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن و كان يوما علي الكافرين عسيرا… فالسماء في هذه الايه و امثالها هي سماء الولايه و مقام ائمة المعصومين عليهم السلام كما قلنا كرارا و مرارا علي طبق ما فسّرته الائمه هذه الايات و اوّلته ان السماء سمائان، سماء علي وجه الارض و فوقها و سماء علي وجه القلوب و الافكار و فوقها. يقول الامام( ع )في تفسير الايه: انزل من السماء مائا فسالت اودية بقدرها.. ان السماء في هذه الايه سماء العلم و الماء المنزله منها العلم و الحكمه، و الاوديه هي القلوب. فسماء ينزل منها العلم علي ارض بمعني القلوب هي الائمة المعصومين عليهم السلام. منهم ينزل العلوم علي قلوب الناس، و من هذه السماء تطلع شمس الولايه و النبوه و نجومها و في هذه السماء ايضا نجوم و سحاب و غمام و امطار كما في هذه السماء المحسوسة المنظوره اليها. فسمائه مقام الله تعالي ينزل منها العلم الي قلوب الائمه، و الائمه سماء بالنسبة الي غيرهم من شيعتهم و محبيهم، و شيعتهم من العلماء و الفقهاء بمنزلة النجوم و الكواكب، يهتدي بهم الناس في ظلمات البر و البحر كما يقول الله تعالي: و زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب... هكذا فسروا هذه الايات و اوّلوها. ففي الحديث المشهور يسئل عن الامام الثاني عشر بقية الله( ع )عن غيبته و انه كيف يُسئل منه و يُنتفع به و هو غائب لا يُعرف، فيجيب علیه السلام: ان الانتفاع بي في غيبتي بمنزلة الانتفاع بالشمس من وراء السحاب. فكما ان الناس ينتفعون بنور الشمس و يستضيئون به من وراء السحاب كذلك ينتفعون بنور امامهم من وراء السحاب. و السحاب في هذا المورد هم العلماء و الفقهاء يحتجب بهم الامام( ع )كما تحتجب الشمس بالغمام .

فتدبر في هذه الايه و محتويها. فان فسرتها بظاهرها دون باطنها لا يناسب بعض جملاتها بعضا. فيقول الله تعالي: يوم تشقق السماء بالغمام .. يتشقق السماء عن الغمام و لا يتشقق بالغمام لان الغمام تحجب وجه السماء و تسترها عن الناس. فما كان الغمام علي وجه السماء لا تكشف وجهها و لا يري ما فيها من الشموس و الانجم و الاقمار و ان كشفت عن الغمام يري وجه السماء و ما فيها. فالغمام يكون حجابا علي السماء يحجب السماء به و لا يكون سببا لرفع الحجاب. و ان كان هناك سبب يرفع به الغمام عن السماء فهي الرياح. فبالرياح يرفع الغمام عن وجه السماء و برفع الغمام يكشف وجه السماء او يتشقق به .

ثم ما المناسبة بين رفع الغمام و نزول الملائكه من السماء؟ فان كان بمعني هذا السماء هل الغمام يسد الطريق علي الملائكه فلا يقدرن ان ينزلن علي الارض او علي نبي من الانبياء؟ ان الملائكه لايكن اجساما فيحجبهن الغمام عن الصعود و النزول .فهن في وجودهن انوار مجرده عن الماديه و الجسمانيه، و اطوار في نورانيتهن. لا يحجبهم جسم عن جسم اخري فيذهبن و يجئن و ينزلن و يصعدن و لا فرق لهم ان يكون علي طريقهم سد كامثال الجبال او كامثال الهواء و الماء او خلأ مطلق كامثال الفضاء فيصعدن و ينزلن من هذه الموانع. لا يمنعهن جسم عن جسم و حجاب عن حجاب و لو كان غليظا كمثل الجبل. فالملائكه في نورانيتهن الطف من قوة الكهرباء و من الروح في الابدان. فان الكهرباء يتعلق بالمواد و الاجسام فيغلظ و الروح يتعلق ببخار الدم و القلب فيغلظ ولكن الملائكه لا يتعلقن بشيئ من المواد و لا يخرجن عن تجردهن. فلا تناسب ظاهرا بين رفع الغمام و نزول الملائكه ان كان السماء و الغمام و الارض ما نفهم من ظواهر الايات. و ان كان السماء بمعناه العلمي و هو مقام ينزل منه العلم، و الارض كذلك مقام ينزل فيه العلم فللسماء بهذا المعني ايضا نجوم و كواكب و شهاب ثاقبه. فالله تبارك و تعالي في وجوده و عظمته سماء بالنسبة الي من يتعلم منه بطريق الوحي او بطريق النقر او النكت في القلوب و قلوب الانبياء في هذا المورد بمنزلة الارض و العلم النازله من الله تعالي الي هذه القلوب بمنزلة الغيث و المطر. فكما ان الارض يحيي بالامطار كذلك القلوب يحيي بعلم ينزل من السماء بهذا المعني و هو الله تعالي الي الارض بهذا المعني و هو قلوب النبيين او المومنين و لابد بين السماء و الارض بهذا المعني ايضا وسائط ينزل به العلم الي قلب النبي او سمعه. فان الله تعالي و ان كان محيطا بظاهر كل شيئ و باطنه و هو الذي يحول بين المرء و قلبه و هو تعالي باحاطته الوجودي علي قلب النبيين و المومنين لا يحتاج لنزول العلم الي واسطة بمعني الملك فما له تعالي يجعل كلامه بيد الملك مثل جبرائيل فيرسله الي نبي يخابره بكلامه؟ فهو تعالي اقرب الي النبي من كل ملك و غيرها. فليجعل كلامه في قلب النبي بلا واسطه فيسمع النبي كلام الله. فيكون هناك المتكلم و هو الله و السامع و هو النبي و الكلام و هو العلم. فلا واسطه بين الله و بين رسوله مثل جبرائيل او ملك اخري .ولكنا نقول ان الله تعالي في شدة قربه و اطاعته بظاهر القلوب و باطنها اذا تكلم بكلام الي نبي من الانبياء لابد هناك من شيئ بين الله و رسوله يجعل به الكلام في قلب النبي و ذلك لان الكلام عرض او موج او اهتزاز يعرض علي شيئ فيدركه النبي بسمعه او بقلبه، و لابد لكل عرض من معروض. لانه لا يعرض عرض علي العدم. فالعرض هناك ان كان بمعني تمويج الهواء لابد من وجود الهواء يتموج به يصل هذا الموج فيقرع به السمع فيسمعه السامع. و ان كان العرض بمعني الاهتزاز فهنا ايضا عرض يعرض علي النور فيهتز به النور فيقرع به السمع او القلب فيسمعه السامع او يدركه القلب. فاذا كان الكلام عرضا و لابد لكل عرض من معروض فما هذا المعروض بين الله و رسوله؟ فكلام الله تعالي هناك موج يقرع بها سمع الانبياء و قلوبهم فيدركون كلامه تعالي و لابد لهذا الموج من شيئ يتموج به و ان كان المتكلم اقرب شيئ الي السامع. فهذا الشيئ الذي يتموج او يهتز بكلام الله تعالي فيدركه قلب النبي( ص ) او يسمعه سمعه نور يسمي ملكا. فعرّفوا هذه الواسطه بالاسم ليعلم الناس انه لابد من واسطة بين الله و رسوله لنزول العلم.

و لعلك تقول اذا كان الله تعالي محيطا بوجوده كل وجود و لا يظهر بينٌ و لا خلأ بينه و بين الانبياء، و البينُ و الخلأُ هناك معدوم و موقوف، فاين يقع هذه الواسطه لإيصال كلام الله الي قلوب النبيين؟ فيمكن لله تبارك و تعالي ان يوجد بوجوده اهتزازا او موجا علي قلب النبي ينقلب كلاما بلا احتياج الي واسطه. فنقول في جوابك لا محاله يكون الكلام عرضا و لابد لكل عرض من معروض. فان كان هذا المعروض وجود الله تبارك و تعالي و ذاته المنزهة المتعاليه، يلزم ان يكون العرض و المعروض شيئ واحد و هذا غير ممكن. لان العرض و المعروض شيئان. شيئ اعتباري غير موجود بحقيقته يسمي عرضا و العرض امر اعتباري لا يزيد شيئا علي المعروض و علي من يوجد الاعراض، و المعروض شيئ واقعي حقيقي موجود ملموس او منظور اليه محسوس. فاذا لم يكن هناك شيئ بين الله تعالي و قلب النبي يجب ان يظهر العرض بارادة الله علي وجوده و ذاته فينقلب ذاته تعالي معرضا لحدوث الحوادث و تابي ذاته تعالي عن ذلك لان العرض كيف و تأبي ذاته تعالي عن قبول الكيفيه كما جاء في الروايات يصف الله تعالي بانه: ايّن الاين و لا اين له، و كيّف الكيف و لا كيف له. فاذا كان ذاته تعالي يعرض عليه الموج و الاهتزاز، ينقلب بذلك كيفية معرضا لعروض الحوادث. تعالي عن ذلك علوا كبيرا. يقول مولانا علي( ع )في وصف فاعليته تعالي: فاعل لا بالحركه… فيفعل بارادته و لا يحدث في وجوده حركه. فاذا كان بفاعليته تابي عن الحركه فكيف يكون مفعولا و معروضا بفعله و هو تعالي بفاعليته و مفعوليته حقيقة واحده. فان تابي ذاته عن قبول الحركه بالفاعليه فهو اولي بان تابي عن قبول الحركه بالمفعوليه و المعروضيه. و كيف يحكم العقل بوقوع فعل الفاعل علي نفسه؟ انما يظهر الفعل لوقوعه علي شيئ خارج عن وجود الفاعل لا علي وجود الفاعل. فيمتنع ظهور الحركه و العرض بذات الله تعالي علي ذاته. فلابد هناك من شيئ غير المتكلم و السامع، يعرض موج الكلام عليه فينتقل الي السامع. و احاطة الله تعالي بوجوده ظاهر كل شيئ و باطنه لا يخالف وجود شيئ غيره تعالي محاط بهذه الاحاطه لانه تعالي ليس في وجوده مثل المواد و الاجسام ليزاحم شيئا او يزاحمه شيئ. فالخلايق غير الله و الله تعالي غير الخلايق، محيط بهم في ظاهرهم و باطنهم بلا تزاحم بينهما و تعانٍ. فهذه الخلأ التي فرضنا بينه تعالي و نبيه لالقاء الكلام انما هي خلأ وجودي لا مكاني. فالخلأ المكاني هو فضاء بيني و بينك. فانت في مكان و انا في مكان اخري و بيننا خلأ يلقي كلام المتكلم الي السامع من هذه الخلأ، يتموج بالكلام الهواء فيسمعه السامع او يهتز به النور. و الخلأ الوجودي لا يلزم مكانا و لا زمانا. الخلأ الوجودي مثل الروح و البدن. فالبدن جسم مجموعة من المواد، و الروح حقيقة متصله غيرمادي لا يتجسد و لا يتجسم. فهي وجود اخري يباين وجود الجسم و الماده و ليس بينهما خلأ مكاني ولو بمقدار واحد من ميليارد من ميليمتر. فالروح محيط بمواد البدن ظاهرها و باطنها و مواد البدن محاط بالروح و بينهما تباين وجودي لا زماني و لا مكاني. و كذلك بين الله تعالي و خلقه. فالله تبارك و تعالي بوجوده و عظمته محيط بظاهر كل شيئ و باطنه. لا يعاني و لا يزاحم شيئا و احاطته احاطة وجودي. فلا يفرض بينه تعالي و بين غيره خلأ مكاني و يفرض خلأ وجودي. فالله تعالي بوجوده غير الروح و البدن. يباين الروح و البدن كما ان الروح يباين البدن مباينة وجوديا لا زمانيا و لامكانيا.

فهناك نطلب السماء المذكوره في هذه الايه التي تشقق بالغمام و نطلب الملائكه المنزلة فيها. فان وجدت السماء بهذا المعني تجد الغمام و الملائكه التي يقول الله تعالي: يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكة تنزيلا… فالسماء بهذا المعني شخص و الغمام شخص او اشخاص اخري. لان العلم يقوم بالشخص لا بالشيئ. فالسماء المنزل منه العلم شخص و هو الله تبارك و تعالي و الائمة المعصومون( ع ) كذلك. الارض المنزل عليها العلم شخص و يقع بين هذين الشخصين غمام و سحاب من الاشخاص لا من الاشياء. فنطلب هناك سماء الولاية و الملائكه الحافين حوله. فنقول سماء الولاية التي ينزل منها العلم و الحكم و يحكم الله به علي الخلائق اجمعين يسمي عرشا بتعبير آخر. فكما ان عرش السلاطين و الامراء ينبئ عن جلالهم و عظمتهم و يحكمون به علي من دونهم من الخلائق كذلك عرش الله تبارك و تعالي ينبئ عن جلال الله و عظمته تعالي لانه تعالي بوجوده فوق العرش مستوي عليه و ساير الخلايق من الملائكه و النبيين و الائمة المعصومين عليهم السلام بوجودهم و كينونيتهم دون العرش. لا يمكن لله تعالي ان يتنزل بوجوده عن فوقيته التي استوي به علي عرشه كما يقول: الرحمن علي العرش استوي… و لا يمكن لما سويه ان يتعالي بوجودهم فوق العرش لان هذا التنزل و التعالي خلاف ما يقتضي الوجود لكل منهما و لا يمكن لاحد ان يخالف لوازم وجوده . فالله تعالي بوجوده و كينونيته فوق كل شيئ محيط بكل شيئ و غيره تبارك و تعالي مثل الانبياء و الائمه المعصومين بوجودهم و كينونيتهم دون العرش. و العرش هناك ليس جسما يستوي الله عليه بل هو نور العلم و الحكمه التي يحكم الله بها علي الخلائق اجمعين. فانظر الي ربك بما ذا يحكم عليك تعلم حكمه و ما امرك بالصلوة و الزكوة و ساير الاعمال الحسنه او ما نهاك عنه من السيئات. فتاتمر ما امرك من حيث تعلم انه تعالي امرك به و تنتهي عما نهاك عنه بما تعلم انه نهاك عنه. فانه تعالي محيط بعلمك و عقلك و مشاعرك مستوي علي علمك و عقلك، يحكم به عليك. فالله تعالي تارة يحكم علي الشيئ او الاشياء كما يحكم علي الجمادات و النباتات و الاشجار و ما يخلقه من ساير التكوينيات، ينبتهم و ينميهم و يغيرهم عما هي عليه. فيحكم علي الزمان و الفصول ان يكون شتاتا او صيفا او بردا و حرا. يجري احكامه في التكوينيات من طريق التصرف و الحاكميه. فكل الخلائق اسباب بيده يتسبب به الي ما يشاء كالاسباب التي بيدك. فانت تحكم علي القلم ان يكتب و علي القرطاس ان يكتب فيه و علي الالبسه و الاقمشه بالخياطه. يجري احكامك علي هذه الاسباب بالتّسبّب و التسبيب و ليس لهذه الاشياء اختيار في الطاعة و المعصيه.كذلك يحكم الله تعالي علي التكوينيات و ليس لها اختيار في الاطاعة و المعصيه. و تارة يحكم الله تعالي علي الاشخاص. يحكم علي الانبياء ان يقوموا او يقعدوا او يقولوا او سكتوا و كذلك يحكم علي الائمه بما يقولون و يعملون. و هذه الحاكميه انما هي من طريق العلم و الاختيار. فيعلم الائمه بان صلاح الامة في كذا و كذا و ان الله تعالي يامر باصلاح امرهم. فيقومون علي ما يعلمون. كذلك في كل قول و عمل. فهم مختارون غير مجبرين علي اطاعة الله تعالي او معصيته ولكن العلم لا ياذن لهم ان يتركوا اطاعة ربهم و يعصونه. فيقومون بعلمهم بما يامرهم ربهم و الله تبارك و تعالي يحكم عليهم بعلمهم و حكمتهم و هم عليهم السلام احرار في اطاعة ربهم مختارون فيما يعملون. فالعلم هناك بين الله و بين الانبياء عرش الله تعالي و الله مستوي عليه، يحكم بهذا العلم علي انبيائه و اوليائه .

و العرش هناك مقام ولاية الله و ولاية الائمة المعصومين. فمن دخل في اطاعة الله و ولاية الائمة دخل في ظل عرش الله تعالي و حكومته. و الملائكة هم العوامل في العالم فيما يخلق الله تعالي و هم اسباب يتسبب الله تعالي بها في خلق ما يريد كما قيل: ابي الله ان يجري الامور الا باسبابها… فالملائكه بارادة الله تعالي كالبرق و الكهرباء بيد الانسان. فكما ان الانسان يعمل بالبرق و الكهرباء ما يشاء من صنايعه كذلك الله تعالي يعمل بالملائكه مايشاء، ينفخ بهم الروح في الاجساد و الابدان فيحيي به الاموات و ينفخ به الروح في الجماد و النبات و الحيوان يحييهم به و اذا اراد ان يميت حيا يسلب به الروح من الاحياء فيموتون و كذلك لا يريد ارادة تكوينيا في احياء شيئ او اماتته الا و يتسبب بالملائكه في الاحياء و الاماته. و كذلك يوحي بهم العلم و الحكم الي الانبياء يامرهم بها و ينهيهم ’كما يقول في افاضة العلم و الايمان في ليلة القدر: تنزل الملائكة و الروح… فاذا اراد ان يقوي ايمان مومن او يحيي قلبا ميتا بروح الايمان يفيض الروح بالملائكه. و الملائكة مربوط بنور الله تعالي في عرشه يقول تعالي: و تري الملائكه حافين حول العرش يسبحون بحمد ربهم...

و یقول: الذین یحملون العرش و من حوله یسبحون بحمد ربهم و یومنون به و یستغفرون للذین آمنوا...

و قلنا العرش مقام حاكمية الله تعالي في التكوين و التشريع و الملائكة مامورات بامره تعالي. و كما ان الملائكه كلها مسخرون حول العرش بارادة الله تعالي و امره كذلك مسخرون بارادة الائمه المعصومين تفعل بهم ما يشائون في اقطار العالم. و المعجزات كلها صنايعهم يعملونها بالملائكه كما يعمل الله بهم ما يشاء. فان الائمه( ع )في مقام من العلم و الحكمه لا يشائون الا ما يشاء الله و لا يشاء الله تعالي الا ما يشائون. لا يامرون الا بامره و لايقومون الا بما يقوم تعالي. فهم مجاري امر الله تعالي و نهيه تكوينا و تشريعا و الملائكه حافون بارادة الائمه( ع )كما هم حافون حول العرش بارادة الله تعالي. فهناك نبين لك معني تشقق السماء بالغمام و نزول الملائكه .

فاذا علمت بان العرش مقام حاكمية الله تعالي و حاكمية الائمه( ع )فاعلم انه لابد لكل حاكم من الجنود و المامورين، يامرهم الله تعالي او الائمه( ع )فياتمرون امرهم. فللعرش معان مختلفه متفاوتة في كل مورد و موطن. العرش بمعني حاكمية التكوين، و العرش بمعني الامر و النهي و تدبير الامور. فالعرش في حاكمية التكوين هو روح العالم و نوره الذي يقوي به الماده و ينور به الظلمات و يحيي به الاموات و يلوّن به المصبوغات. فان كل شيئ في الخلقة و الطبيعه زوج تكويني. يعني لابد لظهور الخلق صغيرا كان او كبيرا من تغيير و لابد لكل تغيير في الطبايع من اصلين. احدهما ما يقبل الحياة و القوه و النور، و الثاني ما يظهر به الحياة و القوه و النور. فاذا اراد الله تبارك و تعالي ان يقوي ذرة من الذرات او مادة من المواد ليظهر فيها بهذا القوه اثر في العالم لابد ان يقويها او يحييها بشيئ غيرها لا يكون من جنسها. لان الشيئين من جنس واحد لا اثر لبعضها في بعض. كجسم مثل التراب و الحجر يجتمع او يتركب بحجر او تراب مثله. فلا اثر لهذا التركيب. فملائين من الماده كمثل مادة واحده و ملائين من لمعات النور كلمعة واحده من الانوار. و لابد للتزويج من شيئين مختلفين او فردين متفاوتين في الجنسيه يتزوجان فيظهر من تزويجهما اثر غيرهما. فلا يتزوج الرجل بالرجل و لا المرأة بالمرأه لانه لا يتزوج الافراد من جنس واحد. و كذلك في اصل التزويج و التركيب. فانظر الي اصل الماده فانها في ذاتها جنس واحد. ان كان حيا او قويا او نورانيا لا يجيئ منه الموت و الضعف و الظلمه. لانا فرضنا ان الحياة و القوه ذاتها، لا شيئ اخري من خارج الذات تركّب بها. فكيف يسلب الحياة عن شيئ ذاته و وجوده حياة لا غير؟ فلا يسلب ذات عن ذات كما لا يعطي الذات بالذات. هل يسلب الحجرية عن الحجر؟ او الجسمانيه من الجسم؟ او هل يسلب النور عن النور و الضياء من الضياء؟ فكل هذا ممتنع غير ممكن، كان الفاعل هو الله تعالي او غيره. فالمادة في ذاتها غير حي لظهورها في حالتين الموت و الحياة. و كذلك في ذاتها غير القوة و النور لظهورها في حالتين النورانيه و الظلمانيه. فاذا كانت الماده في ذاتها غير الحياة لابد ان يحيي بشيئ غير الماده لان المادة باضافة الماده لا يزيد عليها الا الماديه. فلابد هناك من اصل اخري يتركب معها و يتزوج الماده بها فيحيي بهذا التزويج و التركيب. و لذلك نقول لابد في ظهور المخلوقات في اصل ظهورها و تركيب بعضها ببعض من اصلين مختلفين، يتركب فيظهر منها الحياة ثم يتجزي برفع التركيب فيظهر فيها الموت. فانظر الي العوالم كلها و انت جزء منها. فكما انت في وجودك جسم و روح كذلك كل العالم في ذاتها جسم و روح. فالمادة و الجسم يظهر بها الابدان كلها و جزئها و الروح و النور يظهر بها الحياة في كلها و جزئها. المادة شيئ محدودة بابعاد ثلاثه و البعد من لوازم ذاتها لا انه شيئ ركّبت بها، يظهر من المواد جسم العوالم. و الروح و النور في هذا الموضع لطيف مجرد لا يتجسم و لا يحد بحد في ذاتها. يتركب المادة بالروح فيظهر منه الحياة ثم ينفصل و يظهر منه الموت و كذلك ساير الاثار.

فالروح او النور في هذا الموضع عرش الله في التكوين لانه من المجردات غير مادي لا يتسلط عليه الماده و مشتقاتها لان الماده دون النور بوجودها محاط بها و النور محيط في ظاهرها و باطنها. و النور في هذا المورد يسمي روحا و عرشا ايضا و هي عرش الله تعالي يفعل بها ما يشاء في حاكميته التكوينيه بمعني خلق الخلائق. و الملائك من جنس هذا النور حافين حول امر الله كما يقول الله تعالي: قل الروح من امر ربي... هذا هو العرش في التكوين و عرش اخري هناك في التشريع و التدوين .

و اما حاكميته تعالي في التشريع بمعني الامر و النهي و الهدايه فهو علم الناس و شعورهم و ادراكاتهم. فمن يعقل و يفهم يامره الله تعالي و ينهيه و يهديه الي صراط المستقيم و يوفقه الي ما يشاء من العمل الصالح، و من لم يعقل و لم يفهم لا يامره الله تعالي و لا ينهيه لانه لا ياتمر امره بجهله و ضعفه. فكيف يامر الانعام و الصبيان و ليس لها عقل و شعور يدرك امر الله و نهيه؟ فالجهلاء بجهلهم يتركون اوامر الله و نواهيه يخرجون عن اطاعة الرحمن و يدخلون في اطاعة الشيطان و نفوسهم الامارة بالسوء. فالعلم و الايمان في كل انسان عرش الرحمن تبارك و تعالي يامرهم و ينهيهم به. فانظر الي نفسك بماذا تطيع الله و تاتمر امره؟ ما هي التي يحملك علي الصلوة و الزكوة و ساير الاوامر و النواهي و من ذا الذي يحملك ان تومن بربك و تطيع امره؟ انما هي علمك و فهمك و هذا العلم فيك مجاري امر الله و نهيه و هو تعالي مستوي علي نور علمك و عقلك كما يقول: انه يحول بين المرء و قلبه… فتري نفسك تدبر امرك في شيئ من الامور عازما علي اجراء هذا التدبير و التقدير فينقض الله تعالي تدبيرك و تقديرك فتفعل غير ما عزمت عليه. يقول العارف فيما يقول: عرفت الله تعالي بفسخ الامور و نقض الهمم .

فكل انسان يطيع الله تعالي علي قدر عقله و علمه الي ان انتهيت الامور الي اوليائه العظمي و هم الائمة المعصومون. فهم مجاري كل الاوامر و النواهي بعلمهم و شعورهم بما اتيهم الله تعالي من الحكمه يقول: يوتي الحكمة من يشاء و من يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا… فهم عرش الرحمن و خلفائه علي وجه الارض كما تري في زيارة الجامعة الكبيره تصفهم بانهم خزائن علمه و حكمته. فهم عليهم السلام سماء بالنسبة الي من دونهم من الخلائق اجمعين. منهم يفيض العلم و الحكمه الي من دونهم من الانبياء و العلماء، كل في درجاتهم و مراتبهم. فهذه السماء و هي الامام محجوب عن الناس بالناس و عن العلماء بالعلماء لان العلماء يستفيضون من هذه السماء علي قدر ايمانهم و استعدادهم. فاذا ضعفت ايمانهم و معارفهم حبست عنهم الفيوضات و البركات علي قدر ضعفهم و قلة معرفتهم. و لذلك تريهم و قد حجبوا عن امامهم فغاب عنهم امامهم مع انهم مومنون مقرون بولايتهم ياتمرون امرهم و ينهون بنهيهم و قد الزموا انفسهم علي الايمان بهم و الطاعة لهم و معذلك يقول الله تعالي: انهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون…

فالعلماء هناك بمنزلة الغمام يحجب عنهم و بهم شمس ولاية ائمة المعصومين) ع (. فانك تري الغمام تحمل من البحر ماء الحياة عذبا و فراتا سائغا شرابه يحيي بها ميت البلاد. فهي و ان كان تحمل معه ماء الحياة لكنها يحجب به البحر عن الناس اجمعين. كذلك العلماء و ان كانت تحمل معهم علم الائمه يهتدون بهم ساير الناس يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر الا انهم بقلة استعدادهم و ضعف ايمانهم محجوبون عن امامهم. يحجب عنهم علم الائمه علي مقدار ضعفهم في الايمان و المعرفه و لذلك جعلتهم الائمه حجة بينهم و بين ساير العباد. فهم الغمام يحجب بهم شموس الولايه الي اَن آن ظهور قوم فيهم علماء فقهاء كملين يجري بهم و فيهم علوم الائمه كانهم كرسي حكومة الامام و عرش ولايتهم يرفع عنهم القصور و التقصير. يمتحن الله قلوبهم للايمان و يجعل عندهم علم القران. و قد عرّفهم الائمه( ع) في بعض ما روي عنهم يقول: ان امر ال محمد( ص )صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او مومن امتحن الله قلبه للايمان. فحينئذ يتشقق بهم سماء الولايه. فعليذلك يحجب الامام عليه السلام عن الناس بالغمام و يتشقق عن سماء الولايه ايضا بالغمام. فعرّف الغمام بانه حجاب الشمس و انه يتشقق الشمس به. فهذه السحاب و الغمام التي نريه في السماء تارة يكون حجابا يحجب الشمس عن العالمين و تارة يرفع فيظهر به الشمس تطلع علي العالمين. كذلك تحجب بتلك العلماء سماء الولايه عن الناس و تلك الحجاب انما هي بقصورهم لا بتقصيرهم. فاذا رفع عنهم القصور بكمال العلم و الايمان تشقق سماء الولايه بهم يخرج اليهم امامهم فيفرج عن العالمين .

هذا تمام الكلام في هذه الايه. فاذا ظهر الامام( ع )تري الملائكه حافين حوله يطيعونه في تدبير امور العالمين يفعل بهم الامام ما يشاء في احياء معالم الدين و استيصال الظالمين و فتح البركات علي المومنين و يظهر به الملك العظيم الذي وعد الله تعالي ال ابراهيم في كتابه يقول: و اتيناهم ملكا عظيما… و يقول بعد هذه الايه و هي يوم تشقق السماء في هذه السوره:

الایة 26- الملك يومئذ الحق للرحمن و كان يوما علي الكافرين عسيرا… فيظهر هناك سلطنة الله تعالي و ملكه علي اهل السماء و الارض. فهذا يوم الدين و يوم الحساب و يوم القيامه و قوله: الملك يومئذ الحق.. يعني به ان الحق حاكم علي اهل السماوات و الارض و علي كل البشر. فيرحم الله تعالي من يرحمه علي استحقاقه و يعذب من يعذبه علي استحقاقه. و الحق كلمة عام يعم كل من في السماوات و الارض حتي الحيوانات و الحشرات. و اليك ما روي عن امير المومنين علي( ع )في حاكمية الحق و خوفه من هذه الحاكميه يقول: و لو اعطيت الارض بمقاليدها علي ان اسلب حبة من هذه النملة لما فعلت ذلك... انه يخاف ان يظلم نملة علي سلب جرادة او حبة منه لان لهذه النمله حق ان يجمع حبة ليوم فاقته و ياكلها. فلو سلب عنها احد هذا الحق يحاكمه يوم القيامه الي الله. فيجب علي الله تعالي ان يحكم له في عدله و لذلك يقول مولانا اميرالمومنين علي( ع )يصف الحق بقوله: اوسع الاشياء في التواصف و اضيقها في التناصف لا يَجري لاحد الا و يُجري عليه و لا يُجري عليه الا و يَجري له و لو كان احد يَجري الحق له و لا يُجري عليه لكان ذلك خاصا لله تعالي .

فيقول بان الحق اوسع الاشياء في التوصيف و التوضيح و التشريح. فيعلم كل دابة حقه علي غيره و حق الغير عليه فيدافع عن نفسه حفظا لحق الحياة التي خص الله تعالي له فاحياه. فلو اراد احد سلب الحياة عنه يفرّ عنه او يدفع عن نفسه. فيسع الحق كل حي في العالم او ميت. فكل ما خلق الله تعالي في العالم من الجمادات و النباتات و الحيوانات له حق الحياة بما جعل الله تعالي له حقا فخلقه. فلا يجوز لاحد ان يسلب هذا الحق عن شيئ الا باذن الله تعالي. فالحق يساوق رحمة الله الواسعه. فكل شيئ وَسَعهُ رحمة الله وسعه حق الحياة و حق البقاء في الدنيا و الاخره الا ما اذن الله تعالي سلب هذا الحق عنه. فيقول الحق اوسع الاشياء في الوصف و التوضيح و العلم به. فيعلم كل شيئ حقه علي غيره و حق الغير عليه فلا تجد احدا يكون له حق علي غيره و لا يكون لغيره حق عليه و لو كان لكان ذلك خاصا لله سبحانه. لانه تعالي احسن الي كل شيئ و شخص خلقه و رزقه و لا يحتاج الي احد ان يحسن اليه لانه غني في ذاته و جلاله و كبريائه لا ينتفع بشيئ مما خلقه في العالمين كما يقول: يُطعم و لا يطعم... ، و يجير و لا يجار عليه... و الحق انما يظهر و يثبت لاحد بما نفع غيره و انتفع بغيره و هذا داب المخلوقين. لان كل مخلوق بما انه مخلوق خلقه الله تعالي يكون نافعا لغيره و لو لم يكن كذلك في جهة من الجهات لكان خلقته عبثا و تعالي الله من العبث. فكل مادة من المواد و جسم من الاجسام و نبت من النباتات يدب علي وجه الارض انما خلق لينتفع به الانسان في جهة من جهات الحياة. فله حق علي غيره بهذا الدليل و لا يمكن لاحد او لشيئ ان يكون نافعا لربه ينتفع الله تعالي به لانه لو انتفع الله تعالي بغيره يكون محتاجا بهذا الانتفاع و هو تعالي غني عن غيره و غيره محتاج فقير اليه. فله الحق علي كل شيئ خلقه و لا يكون لاحد حق عليه. فيقول مولانا علي( ع )و لو كان هناك احد يجري الحق له و لا يجري عليه، اي يكون له الحق علي غيره و لا لغيره عليه الحق لكان ذلك خاصا لله تعالي. ولكنه تعالي بلطفه و كرمه جعل لعباده حقا عليه فاوجب علي نفسه رعاية حق المومنين. فمن اجاب دعوته تعالي و اطاعه و لو بمثقال ذرة جعل له حقا عليه ان يوفي له حقه كما يقول: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره…

فيصف القيامة في هذه الايه بقوله: الملك يومئذ الحق للرحمن... اي الحق يحكم علي الناس. فجعل الحاكمية يوم القيامه للحق و ان كان هو تعالي حقا في جلاله و عظمته و ما يريد و يفعل. فحاكمية الحق اوسع مناسبة من حاكمية الله تعالي و ارجي لعباده المومنين لانك ان قلت الملك لله فالله هو الحاكم، و لعل احد يسوء الظن و يقول لا يراعي حقا و لا يحكم الحق علي احد و ان كان هذا الفرض ممتنعا في حد ذاته و تصوره. فلا يمكن لله تعالي ان يدع حقا و لا يراعيه، تعالي عن ذلك علوا كبيرا. فان قلنا الملك و الحكومة و الحاكم يوم القيامه هو الله تعالي يمكن ان يظن ظان بجهله او ضعف عقله ان الله لا يحكم له بحقه و لا يراعي حقه، و ان قلنا ان الحاكمية للحق لا يظهر لاحد له حق علي غيره ان يظن مثل هذا الظن لان الحق هو الحاكم فقط و له حق علي غيره فيحكم هذا الحق له و عليه و لا يضيع الحق. فقوله تعالي: الملك يومئذ الحق للرحمن.. اوسع مناسبة لقوله( الملك يومئذ لله )و ان كانا كلاهما متلازمين .

يخبر ايضا في هذه الايه بان الملك يومئذ لله. و في ايات اخري يخبر ايضا بان الملك يومئذ يكون لله يسقط الملوك و ممالكهم و يظهر ملك الله تعالي و السلطنة الالاهيه علي وجه الارض. كذلك يخبر في سورة الحمد بانه: ملك يوم الدين.. و يخبر في سورة الانفطار بانه: لا يملك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله. و في اية اخري يسئل الناس يوم القيامه يناديهم: لمن الملك؟ فيجيب بان الملك لله الواحد القهار… و في هذه الايات مما اخبر عن خصائص القيامه بقوله: و قدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هبائا منثورا.. يخبر بانه يذهب الباطل بحذافيرها جزئها و كلها و يظهر الحق بتمامها. فلا قول الا قول الحق و لا قائل الا القائل بالحق. و ذلك اذا ذهب اهل الباطل ذهب معهم قول الباطل لان الباطل من خصائص اهل الدنيا حيث انهم في دنياهم و في عيشهم بحياتهم مبتلون بالقصور و التقصير و هم علي قسمين قاصر و مقصر. فالقاصر هو الذي لا يعرف الحق بالحقانيه فيظهره و لا الباطل بالبطلان فيتركها. يقول الحق او الباطل بالقصور. فالحق في اعمالهم و اقوالهم ضعيف ضئيل. و المقصر من يقول الحق لغرض الباطل و الباطل ايضا لغرض الباطل. فحقه باطل و لو كان حقا كما يقول تعالي: ويل للمصلين الذين هم في صلوتهم ساهون… فكما يوعد اهل الكفر بقوله: ويل للكافرين، ويل للمنافقين، يوعد اهل الصلوة بقوله: ويل للمصلين. لان صلوتهم و ان كان حقا في الواقع ولكنهم يصلّون لغرض الباطل و هي الرئاء و النفاق. كذلك جهادهم و حجهم و ساير اعمالهم. فالمقصر باطل محض و كفر خالص و القاصر مخلوط اعماله بالحق و الباطل. فيظهر يوم القيامة هذان الحكومتان علي مدار القصور و التقصير و يظهر حق محض كامل تمام بيد الله تعالي و الائمة المعصومين. فلا يبقي باطل و لا اهل باطل فيكون الملك يومئذ الحق .

و بعض الناس يظنون ان ذهاب الملوك و ملكهم انما هي بموتهم و فنائهم. يظنون ان الناس كلهم يموتون يوم القيامه فلا يقوم احد في حيوته فيخاطب الله تعالي الاموات و يقول: لمن الملك؟ ثم يجيب هو تعالي بنفسه و في نفسه: الملك لله الواحد القهار. و ليس كذلك. بل الله تعالي يخاطب الناس اجمعين ملوكهم و غيرهم. و لو قلت ان القيامه يقوم بموت الناس و لو لا يموت الناس لا تقوم لهم القيامه. فيميت الله تعالي الناس اجمعين ثم يخاطبهم بقوله: لمن الملك..

نقول في جوابك: الدنيا و الاخره تقوم بحياة الناس و لا تقوم بموتهم. فاذا لم يكن الانسان لم تكن الحياة كما يقول الامام( ع )في حديث: حياة الارض بالانسان و حياة الانسان بالعلم. فاحسب انه لم يخلق تعالي انسانا علي وجه الارض من نوع الانسان ثم كيف يظهر الملك و المملكه اذا لم يكن ذو عقل و علم من الانسان لان الملك و المملكه انما تقوم بانسان يكون ملكا حاكما و بانسان اخري يكون مملوكا محكوما عليه. فاذا لم يكن انسان في الارض لم يكن ملكا و لا مملوكا.

ثم ان الله تعالي يقول في بعض الايات ان الساعة و القيامه ياتي الناس بغتة. يقول لا تاتيكم الساعة الا بغتة كالزلازل و سايرالحوادث. و يقول: يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و تري الناس سكاري و ما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد… فيخبر هذه الايه بان الناس بعد ظهور الساعة و القيامه موجودون. فمن المرضعة التي تذهل عما ارضعت او ذات حمل تضع حملها؟ او من يكون سكاري من شدة العذاب الا ان يكونوا حيا موجودا حين وقوع القيامه و ظهور الساعه. فلو ماتوا قبل وقوع القيامه و كانوا حين ظهور الساعة امواتا فلا يقال للاموات انهم سكاري او تذهل عما ارضعت و غير ذلك، لان الموت كلها قبل القيامه. فلو ان القيامه يظهر بغتة علي الاموات كما يقولون و لا يكون احد حيا حين ظهور القيامه فعلي من تاتي الساعه بغتة و من يكون سكاري و من الذاهل عما ارضعت؟ فهذا دليل علي ان القيامه تظهر علي الاحياء من الناس لا علي الاموات. لان الموت يقع قبل القيامه و تقع القيامه علي الاحیاء الموجودین ثم يبعث الله تعالي من مات في القيامه. فاذا وقعت القيامه لا يموت احد بل يحيي من مات قبلها في القيامه. فالاحياء هم الذين اتتهم الساعة بغتة و ظهرت فيهم زلزلة الساعه و يكونون سكاري من شدة عذاب الله، لا يكونون امواتا. لان هذه صفة الاحياء و لا يموتون بعد لان موتهم يقع قبل ظهور الساعه و القيامه و لا موت في القيامه بل الموت قبل القيامه. فهذه الايات دليل علي ان من اتتهم الساعه بغتة و ظهرت فيهم زلزلة الساعه لا يكونون امواتا و لا يموتون .

و دليل اخري ادل من هذه الايات علي ان الموت قبل القيامه و لا موت في القيامه بعد ظهور الساعه الايه في سورة بني اسرائيل. يقول الله تعالي: و ان من قرية الا و نحن مهلكوها قبل يوم القيامه او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا… فيخبر هذه الايات اولا بان هذا الموت و الهلاك باي نحو كان، بموت او قتل، تكون قبل يوم القيامه لا في القيامه و بعدها لان في القيامه يظهر ملك الله العظيم بقيام ولي الله الاعظم( عج )فيكون الملك حينئذ لله لا يملك نفس لنفس شيئا و لا يجوز في ملك الله العظيم ان يموت احد و يهلك. انما الموت و الهلاك قبلها. فلذلك يقول الله تعالي ...الا و نحن مهلكوها قبل يوم القيامه او معذبوها عذابا شديدا.. فيجعل الناس قسمين: هالك و معذب. فلو كان يجب علي الله تعالي ان يهلك الناس اجمعين لم يقل: مهلكوها او معذبوها.. فالمعذبون قبل يوم القيامه احياء. و هذه الايه يخبر ان هذه الحادثه قبل يوم القيامه او متصلة بها و لا يكون هذه حادثة عام من لدن ادم الي يوم القيامه لانها حادثة فی الدنیا يوم الدهر جميعا قدر الله تعالي فيها الموت لكل احد و لا يكون الناس في هذه المده من بدو التاريخ الي انتهائها بين هالك و معذب. يموت او يقتل كل انسان ولد من امه من الانبياء و الاولياء المومنين و الكافرين جميعا. قدر الله تعالي الموت لكل احد. فان كان يعذب احد يعذب قبل موته. فلا ينطبق هذه الايه علي كل البشر في الحيوة الدنيا من لدن ادم الي انقضائها لان الله تعالي قدر لكل احد الموت او القتل بلا استثناء الا من شذ او ندر من مثل خضر و الياس و عيسي و الحجة الغائب المنتظر( ع ). فعلي هذا تخص هذه الايه قبل يوم القيامه و تكون هذه الحادثه متصلة بيوم القيامه. فيقع قبل يوم القيامه قتل عظيم او موت يعم البشر جميعا من كان حيا علي وجه الارض. و يخبر الله تعالي عن هذه الحادثة العظيمه التي تعم اهل الارض في ايات اخري منها سورة الدخان. يقول تعالي يخاطب نبيه ( ص ): فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشي الناس هذا عذاب اليم … فهذه الدخان التي يغشي الناس هو الموت العام يعم جميع اهل الارض. فاذا غشي الناس هذه الدخان فاما يموتون فيها او يعذبون عذابا شديدا. و اية اخري في سورة الهمزه يخبر الله تعالي عن هذه النار الموقده يقول: انها عليهم موصده في عمد ممدده.. ثم يقول في سورة الانفطار يخبرعن اصلاء النار يوم الدين، و يوم الدين هو يوم القيامه: يصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين.. فيظهر بهذه النار التي يصلونها يوم الدين دخان مبين يغشي الناس جميعا.

و في الروايات ايضا اخبروا عن هذه الحادثة العظيمه. الاولي قول مشهور عن النبي( ص )يخبر عن قيام القائم( ع )فيقول: يملأ الارض قسطا كما ملئت ظلما و جورا. فلا يملأ الارض ظلما و جورا الا بهذه النار الموقده التي يظهر بها دخان يغشي الناس جميعا فيهلكون فيها او يعذبون عذابا شديدا. فلا يكون هذه النار الموقده نار يوقد بارادة الله تعالي لانها نار الظلم و العدوان يوقدها اهل الكفر و العصيان و ليس الله تعالي بظالم ان يملأ الارض ظلما و جورا بل الظلم و الشر كلها انما يظهر بيد الناس، كما يقول: قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق.. فالشر و الظلم يظهر بيد الانسان. و كذلك الدخان و النار كلها يظهر بيد الانسان كما يقول: وقودها الناس و الحجاره … ثم انك تري الكفار و قد اخرجوا هذه النار عن مكامنها. نار عظيمه يعمهم جميعا، كما يقول الله تعالي: انها عليهم موصده، اي مطبقه و هم في عمدهم الممدده. و العمد الممدده قصورهم المرتفعه بعمدها. فهذه الايات و الاحاديث كلها يخبر عن هذه الحادثه العظيمه قبل يوم القيامه وصفه الله تعالي بالطامة الكبري يقول: فاذا جائت الطامة الكبري يوم يتذكر الانسان ما سعي… و طمّ الارض مِلأها، كما يقول: ملئت ظلما و جورا. فشبّهت الارض بحفرة ملئت من الظلم و الجور، فطمّت فكانت الطامة الكبري. و حديث اخري مشهور يخبر عن هذه الحادثه قبل يوم القيامه يقول: يموت ثلث و يقتل ثلث و يبقي ثلث. فمن مات او قتل فقد هلك و من بقي منهم يعذب عذابا شديدا. فاذا كان هذه الحادثه يعم اهل الارض بحيث يقتل و يموت ثلثان منهم، يعذب قهرا الثلث الباقيه بالعذاب الشديد. و هذه الايات و الاحاديث يؤيد هذه الحادثه العظيمه في سورة بني اسرائيل: و ان من قرية الا و نحن مهلكوها او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا… التي يخبر الله تعالي فيها عن هلاك و عذاب قبل يوم القيامه. فهذه الحادثه متصلة بيوم القيامه يظهربعدها القيامه بقيام القائم. ففي القيامه لا يكون موت و هلاك. انما الموت و الهلاك قبلها في الدنيا.

فيخبر الله تعالي بان الملك يومئذ الحق للرحمن و كان يوما علي الكافرين عسيرا. فيخبر في هذه اليوم عن اثنين. الاولي الملك يومئذ الحق للرحمن، و الثاني فهو يوم علي الكافرين عسير. و نظير هذه الايه في سورة (المدثر) يقول: فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير علي الكافرين غير يسير…و فسرت الناقور بالامام القائم( ع ). ينكت في قلبه او ينقر في اذنه ان يقوم. و من علوم الائمه( ع )كما في كتاب (الكافي )نكت في القلوب و نقر في الاذان يخبر عما يوحي الله اليهم يخبرهم عن الحوادث آناً فَآناً. ففي هذا الزمان يامر الله تعالي الامام بالقيام. يقوم بقيامه القيامه و يظهر الملك العظيم علي مدار الحق خالصا لا يشوبها راي انسان. فهذا يوم يقول الله تعالي: لمن الملك اليوم.. فيجاب بان الملك للواحد القهار. او يقول في سورة الانفطار: يوم لا يملك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله… و في اية اخري يقول: فيكون الدين كله لله. فاذا قام القائم قام بقيامه الحق خالصا. يفتح الله تعالي علي يديه مشارق الارض و مغاربها يستأصل الملوك جميعا فينقلبون ذلا صغارا كما جاء في دعاء الندبه: اين مستاصل اهل العناد و التضليل این هادم ابنیة الشرک و النفاق... فلا یکون احد یومئذ یعارض الامام و یبارزه او یزاحمه فیما یرید. و لذلک یقول الله تعالی: علی الکافرین غیر یسیر... او یقول فی هذه الایه: و کان یوما علی الکافرین عسیرا... فیظهره الله تعالی علی کل من علی وجه الارض مومنهم و کافرهم.

ثم يخبر الله تبارك و تعالي عن حالات الظالمين و ندامتهم و حسرتهم علي ما فات عنهم في الدنيا ولاسيما الظالمين لال محمد علیهم السلام حقهم، الغاصبين خلافة علي و اهل بيتهم عليهم السلام. يقول:

الایات، 27، 28، 29- و يوم يعضّ الظالم علي يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جائني و كان الشيطان للانسان خذولا...

فسر في هذه الايات الظالم الذي يعض علي يديه بالاول و فسر فلانا بابي الشرور الثاني، اذ هو المؤسس لبنيان الظلم علي ال محمد( ع )و علي جميع المومنين الي يوم القيامه. هو الذي حمل الاول علي غصب الخلافه و مهّد له الوسائل و العوامل لينصبه مقام الخلافه ثم يعزله عن المقام فيقوم مقامه في حياته او بعد مماته كما يشير مولانا علي( ع )الي هذا الامر في الخطبة المعروفه بالشقشقيه يقول: لشدّ ما تشطّرا ضرعيها… فيخبر بانهما اخذا بضرعي الخلافه ليحتلبوها و يشطّرونها بينهما نصفين، شطر لهذا و شطر اخري لهذا. و هما اللذان اسّسا اساس الظلم و العدوان علي ال محمد عليهم السلام و حملا الناس علي اكتاف ال محمد( ع ). فقُتل علي هذا الاساس من قُتل منهم مثل فاطمة و علي و الحسن و الحسين علیهم السلام و سُبي من سبي مثل زينب( س )و ساير بنات رسول الله( ص )، و اُقصي من اقصي من ساير الائمة المعصومين( ع )و جري القضاء لهم لما يرجي لهم حسن المثوبه كما في دعاء الندبه عن الائمه( ع )يشكون الي الله تعالي ما جري عليهم من الظلم و العدوان الي يوم القيامه. فالثاني عليه اللعنه المصداق الكامل لتاسيس بنيان الظلم و العدوان و الاول هو الذي اتخذه خليلا لنفسه في حياته و جعله خليفة يقوم مقامه من بعده. فهو الذي يعضّ علي يديه و يتلوهم كل ظالم اضله شيطان مارد و حمله علي الظلم و العدوان .

فما اكثر خسرانهم و اشتد حسراتهم و حرمانهم اذ منعوا عن الدخول في الجنه و حبسوا في اسفل الدرك من الجحيم كما يقول الله تعالي: ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار.

و الذكر في هذه الايه و ساير الايات مولانا علي و ساير الائمه من بعده علیهم السلام اجمعین. فهم الذكر الاكمل لله تعالي يعرف الله تعالي بهم و يعبد كما روي عن مولانا جعفر ابن محمد( ع )يقول: بنا عبد الله و بنا عرف الله لولانا ما عبد الله، لولانا ما عرف الله… فالذكر المطلق ما يذكّرك شيئا. فالالفاظ و العبارات كمثل سبحان الله و الحمدلله ذكر يذكرك معانيها تذكر بهذه العبارات ربك. فجعل الله تعالي الذكر اكبر من الصلوة حيث يقول في كتابه: ان الصلاة تنهي عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر… فان الصلاة ذكر يُذكر به الله تعالي و لا يغفل عن ذكر ربه. فالذكر هو العلة الغائيه لجعل الصلاة و الصوم و الحج و امثالها. كتب الله علينا تلك العبارات لنذكر بعملها و تكرارها ربنا. و يامرنا في اية اخري يقول: و اذكروا الله كذكركم ابائكم او اشد ذكرا… فذكر الله واجب حسن علي كل حال. فما يذكّرك الله تعالي يسمي ذكرا. و في الحديث روي انه سئل عن عيسي( ع )من نجالس؟ فقال: من يذكّركم الله رويته و يزيدكم في العلم منطقه و يرغبكم في الاخرة عمله. فاذا كان هذه العبارات مثل التسبيح و التذكير ذكرا و من يذكّرنا الله رويته ذكرا فكل نبي و ولي ذكر الله الاكبر لان الانسان اذا ذكر ربه بالكلمات يكون برؤية الانبياء و الاولياء اشد ذكرا من العبارات و الكلمات. ان الانبياء و الاولياء اذكار المجسم لله تعالي. و الذكر الاكبر في هذا المقام علي( ع ). فهو الذكر الحكيم يذكرنا ربنا باعماله و اخلاقه و جهاده و عبادته و منطقه و بكل شيئ من اثار وجوده و هو الحق المطلق يعرف به حق الله تعالي .

فهناك نقايس الصلاة بولاية علي( ع )حتي نري في هذه المقايسه ايهما اَذكر لله تعالي و اَدعي الي دين الله. فكم من مصلي يصلي في حالة السهو و النسيان و لا يذكر الله تعالي بصلاته و صيامه و لا تنهاه صلاته عن الفحشاء و المنكر، كصلاة المنافقين الذين يصلون و يزكون و يحجون و لا يكونون من اهل الولايه. تركوا عليا و الائمه من ولده وراء ظهورهم و هم السبل الاعظم و الصراط الاقوم. و لا تري احدا يتولي عليا و الائمة من ولده علیهم السلام و لا يعرف بولايتهم ربهم او يعمل السيئات و هو من اهل الولايه. لان الولاية علم و حكمه و ولاية علي و الائمه من ولده مكتبة الاسلام. لا يتولي احد عليا الا من كان عالما عارفا بحقه و لا يعرف احد عليا الا و هو عارف بحق الله تعالي و دينه. و لا يمكن ان يعرف احد الحق و الباطل و اهل الحق و الباطل و هو في هذه المعرفه يعمل سيئة او يترك حسنة و هو عالم بما يربحه الحسنات و يضره السيئات. و لذلك عرّف اقامة الصلاة باقامة ولاية علي( ع ). يقول فيما روي عنه في كتاب (كنزالعرفان ): الصلاة اقامة ولايتي… و في هذه الايه يحكي الله تعالي مقالة الاول في جهنم يقول: لقد اضلني عن الذكر.. فان الثاني لم يضل ابابكر عن ذكر الله و عن الصلاة و ساير العبادات و انما اضله عن ولاية علي( ع ).

فالذكر المطلق الذي يذكّرنا و يرشدنا الي كل المعارف لله و لاولياء الله علي عليه السلام و هو الصلاة التي تنهي عن الفحشاء و المنكر. فانك تري المصلين الخارجين عن ولاية علي( ع )يرتكبون كبائر و لا تنهي صلاتهم عن الفحشاء و المنكر. فتري بني امية و بني العباس و من حولهم من ساير المسلمين كلهم من اهل الاتراف و الاسراف، يرتكبون الفحشاء و المنكر يقتلون الذين يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر. فاي فحشاء و منكر افحش و انكر من قتل علي و ظلم فاطمه و قتل الحسن و الحسين عليهم السلام و المصائب التي اصابوا بها اهل بيت رسول الله( ص )؟ و هكذا ظلمهم و قتلهم ساير الائمه( ع )و شيعتهم الي يومنا هذا.

فتريهم و هم متظاهرون بالصلوة و الصيام و الحج و ساير العبادات و لا تنهيهم عن الفحشاء و المنكر و سلب اموال المسلمين و قتلهم و هجمهم عليهم. فهم و ان كانوا مسلمين ولكن لا يكونون في اسلامهم خيرا عن الملل الكافره. فهم كما يصف الله تعالي اليهود: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون... و هم في اسلامهم كما يصفهم رسول الله( ص )يخبر عن امته بانهم يحذون حذو اهل الكتاب. يخبر بانهم يتبعون سنة اهل الكتاب في الكفر و العصيان و التفريق و الاختلاف و قتل الانبياء و الصلحاء. فكما ان اهل الكتاب يقتلون انبيائهم بغير حق و يضيعون حقوق الضعفاء يتسلطون عليهم بالظلم و العدوان كذلك المسلمون حذووا في التفريق و الاختلاف و قتل الائمه و الصلحاء من شيعتهم حذو اهل الكتاب.

فانك لا تري اية في كتاب الله يخاطب اهل الكتاب، يذمّهم علي الفحشاء و المنكر الا و ينطبق هذه الايات كلها علي المسلمين الذين خرجوا عن ولاية علي( ع )خالفوا امر نبيهم في الائمه من ولده، فرّقوا دينهم و كانوا شيعا و ضرب بعضهم رقاب بعض و اكثروا الاختلاف فيما بينهم. فزادوا علي ما فعل اهل الكتاب و لم ينقصوا من اعمالهم شيئا. و لذلك تخبر الائمة( ع )بانه لا يقبل عمن خرج عن ولايتنا صلاة و لا زكوة. يقولون ان لو كان عبدٌ عبد الله تعالي بين الركن و المقام حتي تصير كالشنّ البالي ثم لم يات بولايتنا اهل البيت لاكبّه الله في النار. و ذلك لان الخارجين عن مكتب علي( ع )و ولايته كالطاغين متحيرين في الفلوات يمشون ليلا و نهارا بلا مقصد او مقصد مجهول، او الي جهنم مكان الجنه. فلا يفرقون عن ساير الكفرة الفجره. فالصلاة التي تنهي عن الفحشاء و المنكر ولاية علي( ع ) منحصرا. فالصلاة في ولايته صلاة، و ولايته ذكر الله. ينطبق علي هذه الصلاة و الولاية قوله تعالي بلا زيادة و نقصان: ان الصلاة تنهي عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر.

ثم يحكي تعالي في اية الثلاثين عن قول الرسول( ص )يوم القيامه يقول:

الایه، 30- يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا…

فكما ان في الايات قبل هذا حكي الله تعالي حسرة المنافقين و الظالمين، يحكي حسرة رسوله( ص )علي ان امته تركوا كتاب الله وراء ظهورهم. و هذه الحسره في طرفي الحق و الباطل انما يظهر مصداقه في القيامه فقط و لا يكون لها في الدنيا مصداق معلوم يعلمه الناس. فانا نري ظاهرا ان المسلمين بعد رسول الله( ص )كانوا علي الاسلام، جاهدوا جهاد الاسلام و كذلك صلّوا و حجّوا صلاته و حجه و قرؤا القران و تظاهروا بشهادة ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله، ابلغوا دين محمد( ص )الشرق و الغرب من العالمين. فلم يهجر القران ظاهرا بين المسلمين. قبلوها و نشروها و تدبروها ما كان يمكنهم ان يتدبروها. فما هذا لقران الذي هجره الناس فكان مهجورا بين المسلمين؟ أهي جلد هذا الكتاب و قرائته او شيئ غيرها؟ فالقران المهجور هي معاني هذه الايات و العمل باياته. فكيف يكون القران قرانا بعد ان لم يبين معانيها و كان معانيه مجهولا علي الناس. القران بين الدفتين الفاظ و عبارات لابد لها من بيان معانيها لان الالفاظ و العبارات لا يعتبر كاملا الا بمعانيه. الالفاظ مستهلكه في المعاني. فانك تري في المحاورات و العبارات لا يتكلم احد الا و يريد المعاني و لا يسمع احد كلاما الا بالمعاني. و في راس معاني القران ولاية علي و الائمه من ولده علیهم السلام. فان رسول الله( ص )جمع القران كله في علي( ع )و قال في بيانه المشهور: مامن شيئ يقربكم الي الجنه و يبعدكم عن النار الّا و قد قلته لكم. اَلا و قد جمعته في علي فاطلبوه منه. و قال في موضع اخري بيانا لِاية من ايات القران حيث يقول الله تعالي: و تعيها اذن واعيه.. الاذن الواعيه علي( ع ). فعلي عليه السلام كتاب الله الناطق ينطق عن معاني القران كله ظاهره و باطنه و تفسيره و تاويله و ناسخه و منسوخه و عامه و خاصه و كل شيئ مما هو في هذا الكتاب. فجلد القران كتاب صامت لا ينطق عن معانيه و لايعرف احد مجملات هذا الكتاب و علي( ع )كتاب الله الناطق. فمن اخذ بالكتاب و ترك ولايته ضل عن الطريق من غير علم. فان الله تعالي يقول في كتابه يبين شان القران: و لا يزيد الظالمين الا خسارا… و يقول في الاية الاولي من القران: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين… و المتقون باطلاقه اصحاب اميرالمومنين( ع ).كذلك الظالمون باطلاقه ظالموا حق علي( ع )يحيدون عن ولايته فيقعون في ظلمة الجهل و لا يمكنهم ان يهتدوا بهداية القران كما تريهم ضلوا عن طريق الحق و لم يعلموا ظواهر القران فضلا عن بواطنه. فكيف يمكنهم ان يهتدوا بكتاب صامت و يتركوا كتاب الله الناطق. فان الولاية راس الدين و قلبه و من ترك ولايتهم اخذ بدين لا راس له و لا قلب، كما روي عنهم عليهم السلام في حديث مشهور: بني الاسلام علي خمس: الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولايه. ثم قالوا: و ما نودي بشيئ كما نودي بالولايه.. فعلي هذا انما القران المهجور ولاية علي (ع ) و كان رسول الله( ص )ذا حسرة عظيمة مما راي المسلمين تاركين ولاية علي( ع )اخذين بولاية فلان و فلان. يحكي الله تعالي عن هذه الحسرة العظيمه في رسوله يقول: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات… و يقول في موضع اخري: لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين… و انما اخذت رسول الله ص الحسره لانه يعلم الفتن بعد موته ياخذون بولاية فلان و فلان و يتركون ولاية علي( ع )وراء ظهورهم. اخبر الله تعالي عن هذه الفتنه في قوله: و ان ادري لعله فتنة لكم و متاع الي حين… فاخذت المسلمين فتنة غصب خلافة علي( ع ) بعد رسول الله( ص )الي يوم القيامه .

ثم يحكي تبارك و تعالي في اية الاحدي و الثلاثين ما يقدر لكل نبي من الانبياء من الفتن و الحوادث و الظلم و الطغيان يقول:

الایه، 31- و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين و کفی بربک هادیا و نصیرا…فيسئل هناك ما لله تبارك و تعالي يجعل للنبيين اعداء من الشياطين و الكافرين يؤذونهم و يزاحمونهم في دينهم يقاتلونهم و يقتلونهم و يُقتلون و يقتلون اعوانا من المؤمنين. فلو سهّل الله تبارك و تعالي امر النبيين و يسّر لهم امورهم و اخرج الظالمين و الكافرين عن طريقهم الذي يسلكون به الناس الي الله تبارك و تعالي لكان هذا ابلغ لهم في تبليغ دينه و اسهل لهم لرعاية المومنين و تعليمهم و تربيتهم و لو كان كذلك سلكوا بالناس سبيل الحق و العداله و فتحوا للمومنين ابواب الجنه و السعاده و اغلقوا عليهم ابواب الفتنة و النيران فكانوا في طريق سهلة و سمحة. فجعل الله تبارك و تعالي في طريقهم اعداء من المجرمين و الظالمين و الكافرين و كانوا في هذا الطريق كالسباع الضاريات يقطعون سبيل المومنين و يزاحمونهم. فما الحكمة في جعل الاعداء للنبيين؟

فيجاب عن هذا السؤال بان الطريق الي الله تعالي هو العلم و الحكمه و عرفان الحق و العداله. فليس الطريق الي الله كالطرق المتداوله من بلد الي بلد و قرية الي قريه ليسهل عليهم الحركه ان كان سهلة بلا اعوجاج و انحراف بل الطريق الي الله الحكمه و الكتاب التي يربي الله تعالي بها و عليها الانبياء و المرسلين و من يتبعهم من الصلحاء و المومنين و لا يذوق الانسان علم الحق و العداله الا بما يضاده و يزاحمه كما يقال: يعرف الاشياء باضدادها. فانك تري الله تبارك و تعالي جعل لكل شيئ في العالم ما يضاده و يناقضه فجعل النور مع الظلمه و الحياة مع الموت و الحركه مع السكون و الراحه مع التعب و السلامة مع الامراض و الاسقام و ضاد العلم بالجهل و الحكمة بالسفاهه و غير ذلك. فلو جعل الانسان في ضياء بلا ظلمة و راحة بلا تعب و مشقة لكان يجهل علي الانسان النور و الظلمه معاً و كذلك ساير الاضداد. فوقع الانسان في جهل مطلق لا يعرف العلم و الجهل و لا السعادة و الشقاوه. فانك ان سئلت سمكة في البحر عن الماء ما هو؟ لا تقدر ان يجيبك عن الماء و كانت الماء مجهولا عليها اذ خلق فيه و عاش فيه و لم يواجه شيئا يضاد الماء في عيشها و حركتها. و اذا اخرجت السمكة من البحر و القيته علي التراب و مسّت ببدنها شيئا خشنا يضاده و يزاحمه لكان يعرف باختلاف هذين الحالتين و توارد الماء و التراب عليها. و كذلك الانسان لو خلق في حياة المطلق بلا موت يعرضه او موت مطلق بلا حياة يعرضه لكان جاهلا بالموت و الحياة، و الجهل هو الموت الاكبر. و كذلك جعل الله تعالي للحق ما يضاده من الباطل و للباطل ما يضاده من الحق. و انك تعرف ان الحق و الباطل لا يقومان الا باهلها. فجعل معاوية و امثالها اهلا للباطل يقوم الباطل بهم و للحق عليا و امثاله علیهم السلام يقوم بهم الحق فجعلهما يضاد بعضها بعضا و الناس بين هذين النجدين، نجد الخير و الشر مبتلون بهما. فتارة الي نجد الخير، يتعلم منه و يوثر الحق علي الباطل، يذوق الحق بتعليم علي( ع )و امثاله و اخري يميل الي نجد الشر و يظنها خيرا و سعادة، فيذوق الشر من معاوية و امثالها ثم يختار بعلمه و عقله احد هذين، يعقل ان يكون في نجد الخير و الشر. فاكثر الناس في عاقبة امرهم يعلمون و يميلون ان يكونوا علي نجد الخير في ظل حكومة علي و امثاله من ائمة المعصومين علیهم السلام. لانهم لا ينالون من الشر و اهل الشر خيرا يطلبونه و يرجونه الي اخر الدهر. يقول الله تعالي: و لنذيقنهم من العذاب الادني دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون. و العذاب الادني هي عذاب الدنيا لانّ كلمة( ادني و دنيا )كلاهما افعل التفضيل مذكرا و مؤنثا من الدني و الدنائه. وصف الله تعالي بهاتين الكلمتين الحياة الدنيا ليعرّفها لاهلها و يرغبوا بانفسهم عنها. لان طعمة الدنيا لا تنالها احد الا من حيث دنائه الطبع. و لذلك يقول مولانا علي( ع ): و لعلمتم ان دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز. او يقول: من عظم خنزير بيد المجذوم.. فهذه الدنيا دني لا تاتي احدا الا من حيث دنائة الطبع و وصفها الله تعالي بهذين الكلمتين. فالادني مذكر و الدنيا مؤنث و كلاهما افعل التفضيل كالاصغر و الصغري. فيخبر الله تعالي في هذه الايه بانه تعالي يجر بالناس من حكومة اهل الخير الي حكومه اهل الباطل. وصف هذين الحكومتين في سورة البلد بنجد الخير و الشر فقال: ألم نجعل له عينين و لسانا و شفتين و هديناه النجدين… فسّر هذين النجدين بولاية علي( ع )و ولاية معاويه و امثاله. فيجر الله تعالي بالناس الي ظل حكومة اهل الباطل فيذيقهم من شرهم لعلهم يرجعون عنهم الي الحق. و يخبر في بعض الايات ايضا عن هذا الرجوع: و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته… يعني يؤمننّ بنبيهم او بوليهم قبل موتهم. و اخبر علي( ع )عن رجوع اهل الكوفه اليه حين اذ كان يطلب غلام ثقيف يحكم علي اهل الكوفه و يصفه بانه جهنم الدنيا لا تبقي و لا تذر. ثم يقول: فحينئذ يرجون الناس ان لو يرونني مقاما واحدا. و مثل هذه الجملات. فيحكي حال اهل الكوفه اذا ابتليت بحكومة حجاج ابن يوسف الثقفي فيتسلط عليهم يحصدهم و يذلهم و يقمعهم فيذوقون في ولايته ما تذوق اهل النار من زقاقيم الجحيم. فحينئذ يعشقون عليا و يشتاقون ان لو يرونه مرة واحده فيقبلون يديه و يسئلون متضرعا ان ياتي الكوفة فيحكم عليهم فيموتون علي هذه الرجاء و الاشتياق فيعفو الله تعالي عنهم يوم القيامه عصيانهم اَن تركوا امر امامهم وراء ظهورهم و اقبلوا الي ولاية بني اميه. فهؤلاء اهل الكوفه حين ابتلوا بحاكم مثل الحجاج يؤمنون بعلي و الحسن و الحسين( ع )قبل موتهم و ان كانوا خالفوهم و عصوهم في حياتهم. فعليذلك كما انه في تربية الله و تعليمه يجب ان يبتلي الناس بنور و ظلمة و بليل و نهار و حر و برد ليعرفوا بكل ضد ضده الاخري و بكل وجود عدمه و بكل نعمة فقدانه، كذلك يجب عليه تعالي ان يعلّم الناس و يعرّفهم حكومه الحق و الباطل فيذوقوا الخير في حكومة اهل الحق و يذوقوا الشر في حكومة اهل الباطل ليرجعوا عن الشر الي الخير و عن حكومة اهل الباطل الي حكومة اهل الحق فيسلكوا باهل الحق طريق الحياة و النجاة. و لذلك يقول في هذه الايه انه يجعل لكل نبي عدوا من المجرمين الكافرين .

و هناك بحث اخري يجب ان يشار اليه و انه اذا كان اهل الباطل في حكومتهم و ضلالتهم مجعولا بجعل الله و انه تعالي هو الذي يجعل كافرا قبال المومن و مومنا قبال الكافر فكيف يجازي او يعذب اعداء النبيين في الاخره و هم مجعولون في كفرهم و ضلالتهم بجعل الله تعالي؟ أليس هذا اجبارا و اكراها لهم علي الكفر و العصيان؟ فيجاب ان الله تبارك و تعالي خلق الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين. فالانسان في خلقته الاولي في رحم امه مخلوق بخير خلق و احسن تقويم مجهزا بعوامل و غرائز في وجوده و فطرته بما يمكنه ان يسلك بخلقته طريق الشر او طريق الخير ثم جعله الله تعالي عالما مختارا مجهزا بعقل و ارادة يقدر ان يعلم الخير خيرا و الشر شرا و اَن يعرف اهل الباطل باطلا و اهل الحق حقا فيختار لنفسه احسن الطريق. فعلمه علما يعرف الحسَن و الاحسن و يعرف السيئ و الاسوء فيختار لنفسه طريق الشر او الخير.

فلو جعل الله تعالي في وجود الانسان نقصا في غرائزه من الشهوة و الغضب و في فطرته من الخير و الشر و اختيار ربه بالربوبيه و غير ذلك ثم كلّفه و امره بما يكلّف الكامل او حمل عليه التكاليف ما يحمل علي الانسان الكامل في طبيعته و خلقته لكان الله تعالي اذاً ظالما و تعالي الله عن الظلم و العدوان. و ذلك انه يكلف عبده بقوة و استعداد لم يؤته في خلقته. فكلّفه باكل الطعام و لم يجعل في طبيعته و خلقته ما به يجوع او يعطش، او كلفه بان يقول و لم يعلّمه البيان و غير ذلك، و هو يقول في الكتاب: لايكلف الله نفسا الا ما اتيها… و ذلك مثل ان يكلف حيوانا بما يكلف به الانسان. فيكلف الذئب ان لا يفترس الاغنام و الصبيان او يكلف الاغنام ان لا ياكلوا الزراعات من البُر و الشعير ثم يعذب الذئب و الاغنام بما افترسوا او اكلوا. فهذا ظلم و الظلم قبيح. فلو لم يجعل للانسان شهوة او غضبا ثم امره ان يشتهي ما انعم عليه او يغضب علي عدو الله فيجاهد في سبيل الله تعالي ثم عذبه بترك ما يشتهيه و ترك الغضب علي من وجب عليه ان يغضبه فقد ظلمه و الظلم قبيح من كل احد، و من الله تعالي او الانبياء و الاولياء اقبح و لا يجوز من الله تعالي فعل القبيح. فلا يظلم الله تعالي احدا يقول: و ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون.

فعليذلك لو جعل تعالي في خلقة الانسان نقصا او عضوا ناقصا يرفع عنه التكليف المربوطة بهذا العضو. فمن كان اعمي يرفع عنه تكاليف يتعلق بالبصر و النظر فلا يامره ان ينظر و يتفكر في اياته و لا ينهاه ان ينظر الي شيئ محرمة عليه. و لذلك تري الله تعالي لا يكلف الصبيان و المجانين بما يكلف به البالغين العاقلين. فعليذلك يجري امر الله تعالي و نهيه علي الانسان علي ما اتاه من العلم و العقل، يقول: لايكلف الله نفسا الا بما اتاه… فعليذلك لو راينا اللهَ تعالي امرَنا بكل امر و نهانا عن كل ما نهي و كلّفنا في الدين كله هذا دليل علي انه تعالي اتانا من العقل و العلم و الحلم بما كلفنا به. فيخبر الله تعالي عن كل انسان كافر او مومن بانه خلقه في احسن تقويم. فلا يجوز ان يقول الانسان ان الله تعالي خلق المومن بما يقدر علي الايمان و التقوي و السلوك طريق الجنه و خلق الكافر بما لا يقدر ان يومن بالله او يسلك طريق الجنه بل خلقه و اجبره علي الكفر و السلوك طريق النار.

فحينئذ يسئل لم و بم صار الكافر كافرا و المومن مومنا؟ فان كفر علي خلاف خلقته او آمن كذلك علي خلاف خلقته فان هذا غير ممكن لكل مخلوق ان يعمل عملا علي خلاف ما خُلق عليه. ثم نري ما روي عن الرسول( ص )في حديث مشهور يقول: كل انسان يولد علي الفطره ثم ان ابواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه… فيخبر عليه الصلوة و السلام بان كل انسان يولد علي فطرة الاسلام. و هذه الحديث يفسر الاية الشريفه من قوله تعالي: فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله… فيخبر الله تعالي في هذه الايه بان الناس كلهم خلقوا علي فطرة الاسلام. و يقول تعالي: لا تبديل لخلق الله.. يعني انه تعالي خلق الناس علي مدارچ و غرائز و عواطف ان لو كانوا حرا مختارين لسلكوا سبيل الدين و لم يتجاوزوا حكما من احكام الله. و يؤيد هذه الايه و الحديث قوله تعالي اذ يخاطب ذرية ادم: ألست بربكم؟ قالوا بلي… فيقروا بربوبيته كل الناس من اي صنف و اي قبيلة و اي نوع من انواع البشر. يجيبون الله تعالي بانك ربنا و مولانا. و هذه السؤال و الجواب انما يجري علي خلق الناس و فطرتهم .

فخلقهم الله تعالي علي التوحيد و الاقرار بالربوبيه ثم اشهدهم علي انفسهم ليكونوا عالمين علي انهم مخلوقين ثم يستشهدهم بقوله: الست بربكم، فيجيب كل الناس علي فطرتهم و خلقتهم: اللهم بلي انك ربنا و مولانا.

فهناك دلائل ثلاث عقلي و روائي و كتابي ان البشر كلهم خلقوا علي منوال واحد و هي فطرة الاسلام، و فطرة الاسلام الاقرار بالتوحيد و الايمان بالله و قبول الحياة الاخره، و ان الانسان يجب عليه ان يعمل الصالحات و ان الناس مجزيون باعمالهم، ان خيرا فخير و ان شرا فشر. فاما الدليل العقلي ان الله تبارك و تعالي لو خلق الناس كافرين غير قادرين علي الايمان به تعالي و العمل الصالح ثم كلفهم بالايمان و العمل الصالح لكان هذا التكليف علي خلاف فطرتهم و خلقتهم حيث لم يخلقهم الله مجهزا بعوامل يقدرون علي الايمان به و العمل الصالح. فهذا كمثل ان يامر الله تعالي الذئاب و السباع ان لا ياكلوا لحوم الانعام و لا يصول عليهن و لا يفترسهن. فهذا حكم علي خلاف ما خلقت عليهن الذئاب لانهم خلقوا سباعا ضاريات و امروا ان لا يكونوا كذلك. فلو امرهن الله تعالي يوم القيامه بالدخول في النار و ادخلوا نارا بما افترست الانعام و اكلها لكان الله تعالي ظالما بهذا الحكم و تعالي هو عن الظلم. و كذلك لو خلق الله تعالي الكافر كافرا غير مجهز بما يقدر علي الايمان ثم يعذبه بكفره يكون ظالما و تعالي ربنا عن الظلم. فيمكن للكافر ان يكون معترضا و يقول خلقتني كافرا ثم كلفتني بالايمان لم اقدر ان اعمل عملا خلاف ما يقتضيه الكفر ثم تعذبني بالنار. فالعقل السالم لا يقبل هذا و يكون حكما عدوانيا.

و اما الدلائل النقلي هي الحديث و الايات بان الناس خلقوا علي فطرة الاسلام ثم يكفرون علي خلاف اقتضاء فطرتهم. فكل كافر و ظالم يحكم علي نفسه بما كفر و ظلم لانه يري عمله عملا علي خلاف فطرته. و من ادل الدلائل علي هذا قوله تعالي: لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم… فحسن تقويم الانسان يقتضي ان يكون احسن العاملين و اصلح الصالحين. فلا يجوز لاحد ان يقول خلق الله الكافر كافرا و الشقي شقيا و المومن مومنا. و حديث المشهور من قولهم: الشقي شقي في بطن امه و السعيد سعيد في بطن امه يكذبه حديث: كل مولود يولد علي الفطره.. و يكذبه ايات الكتاب بما يقول الله تعالي: فطرة الله التي فطر الناس عليها.. و قوله خلقنا الانسان في احسن تقويم.. و ايات اخري مثل ذلك. و كذلك دليل العقل اذ يكون ظلما ان يخلق الله الكافر كافرا ثم يامره بالايمان، الا ان يوجّه الحديث بان المنظور من ( بطن امه ) في هذا الحديث هي الحياة الدنيا كما هي كبطن الام للانسان. يخلق من طريق العمل الصالح صالحا و الطالح طالحا.

و هناك سؤال و جواب اخري. فيقال لو لم يخلق الله كافرا و مومنا و شقيا و سعيدا و خلق الله الناس كلهم سعداء يقعوا علي مدار واحد بلا اضداد،( کیف هو ) و قلنا فيما سبق ان الله تعالي جعل لكل شيئ ضدا و نقيضا و جعل الفضل و الكمال بين الاضداد و النقائص ليعرف الناس الحر بالبرد و النور بالظلمه و الحق بالباطل و الحمرة بالصفره و كذلك ساير الاضداد؟. فلو خلق الانسان او وقع في حالة واحدة من التولد الي الموت لم يعرف شيئا من الحالات و الحوادث فبقي في جهل مطلق لا يعرف الحق من الباطل و لا المومن من الكافر و غير ذلك، فيبطل التعليم و التربيه حينئذ مع فرضها و وجوبها علي الله تعالي بما ان العلم و المعرفه هي العلة الغائيه في خلق الخلائق. و لو لم يكن العلم و المعرفه انقلب خلق العالم و العالمين لغوا عبثا. فعليذلك يجب علي الله تعالي ان يجعل الحق قبال الباطل و الباطل قبال الحق و لا يقوم الحق و الباطل الا باهلها و اهلها هما الكافر و المومن. فيجب علي الله تعالي لظهور العلم و الحكمه ان يخلق الكافر كافرا و المومن مومنا كما خلق الظلمة قبال النور و النور قبال الظلمه.

فنقول في جوابك انما يجب علي الله تعالي ان يجعل مومنا و كافرا و حقا و باطلا اذ كانت التعليم و التربيه و ظهور العلم و المعرفه منحصرا بهذا الطريق و لم يحصل العلم و المعرفه للانسان من طريق اخري ولكن الله تعالي جعل للانسان طريقين ينال بسلوكهما العلم و المعرفه من غير ان يبتلي بحق و باطل و كفر و ايمان .

فالطريق الاولي يامر الله تعالي بني ادم كلهم ان يكونوا في اطاعته و اطاعة رسوله ليعلمهم و يربيهم بلا ابتلاء منهم بالاضداد و النقائص. فيعلمهم الحر و البرد من غير ان يبتلوا بهما و كذلك النور و الظلمه بلا تعب و ابتلاء و هكذا العلم و الجهل بلا ابتلاء منهم بجهل و سفاهة. فانك تري الصبيان غير مكلفين بشيئ من الحق و الباطل و هم يعرفون الحق و الباطل. تريهم في لعبهم يحكمون علي صبي خالف قوانين الانسانيه في لعبه. فبعض منهم اهل خير بلا ابتلاء و كذلك اهل شر بلا ابتلاء. فالانسان يقدر ان يتعلم فساد السرقة من غير ان يسرق، و فساد قتل النفوس من غير ان يقتل احدا. كذلك يقدر ان يتعلم فساد المعاصي قبل ان يبتلي بالعصيان. فانك تقدر ان تعلّم ولدك معني الضلالة و الهدايه من غير ان يبتلي بالضلاله و تجعله علي صراط مستقيم الي ما يريد ثم تعلمه الانحراف و الضلاله فتقول له لو سلكت هذا الطريق نلت بسلوكها مرادك و لو ضللت عن هذا تنقلب في الفلوات فتنهشك السباع الضاريات. فهو يقدر ان يتعلم الهدايه بلا ابتلاء بالضلاله او ابتلاء غير مضر. مثلا اذا اردت ان تعلمه البرد و الحر تذيقه شيئا منهما بلا ابتلاء او ابتلاء غير مضر و كذلك تقدر ان تعلمه العلم و الحكمه بلا ابتلاء بالجهل و السفاهه او ابتلاء غير مضر كابتلائه في اوان صباوته. فالصبي يبتلي بالقذارة و النجاسه قبل ان تكلف بالتطهير.

فلا يجب علي الله تعالي لظهور التعليم و التربيه ان يخلق الكافر كافرا و المومن مومنا بل يخلقهما علي فطرة الاسلام ثم يعلمهم الاضداد و النقائص بلا ابتلاء بهما.

و ان قلت لابد لظهور العلم و المعرفه من خلق النقائص و الاضداد نقول في جوابك خلق الله تبارك و تعالي لظهور العلم و الحكمه في وجود الانسان طريقا اخري للتعليم و التربيه و هي خلق الانعام و انواع الحيوانات. فانها خلقها الله تعالي في الضلاله من غير ان يكلفوا بشيئ من الحق و الباطل و جعل الله تعالي الفلوات كصحيفة كتب فيها من الكلمات و العبارات و الاضداد و النقائص ما لا يحصي كثرة. فاذا اراد الله تعالي ان يعلم الانسان مضار الجهل و السفاهه أريه الحيوانات في جهل و سفاهة يجعلون انفسهن في قذارة و نجاسة بل ياكلن النجاسات و القاذورات و يبتلين بالحر و البرد و لا يقدرن بجهلهن و سفاهتهن ان يدفعن عن انفسهن مضار الحر و البرد و يبتلين بهرج و مرج و نزاع تاكل بعضها بعضا و لا يقدرن ان يجعلن انفسهن في نظام امن و امان و غير ذلك. جعل الله تعالي كل حيوان و حشرة مظهرا لعلم خاص يعلم بها الانسان و يتعلم الانسان منها سرّ الحياة و كيفية المعاش و المعاد و غير ذلك. و لعل الله تعالي علّم الانسان التوالد و التناسل و حضانة الاولاد و تربيتها بما جعل هذه الامور في الحيوانات بغرائزها. فراي الانسان الذكر و الانثي من الحمامة يتعاونان في كيفية التوليد و تربية افراخها و كيفية جلب المواد و الغذاء اليها. فتارة تري الذكر من الحمامه في حضانة افراخها و تارة الانثي منها. فعلّم الله تعالي بهذين الحمامتين الذكر و الانثي كيفية حضانة الاولاد و تعاون الزوجين في التوالد و التناسل و غير ذلك. و ما خلق الله تعالي حشرة من الحشرات و حيوانا من الحيوانات الا و جعلها مظهرا لعلم خاص و حكمة مخصوصه. فعلم الله تعالي الانسان التمدن و التعاون بالنحل اذ خلقها متعاونين بعضها بعضا و جعلها في نظام باطاعة ملكتها و جعل لكل واحد منها عملا خاصا و شغلا مخصوصا تشتغل به. فجعل بعضها في تربية النتاج و الاولاد و بعضها في تهيئة الغذاء من العسل المصفي و جعل بعضها مامورا لبناء البيوت كما تري بهيئتها العجيبه المخصوصه. جعل بعضها آمرا و بعضها مأمورا و بعضها في حماية ملكتها و غيرذلك من ساير الاشتغالات. فلو تفكر الانسان في كيفية تعاون النحل بعضها بعضا لجعل نفسه و بني نوعه في امن و امان و تمدن عظيم يقمع بها الخوف و الفساد. فصحيفة الفلوات و ما خلق الله تعالي فيها من الحشرات و الحيوانات كتاب عظيم كتب الله تعالي بيده يعلم بها الانسان كيفية الحياة و البقاء في الحياة ابدا. فجعل الله تعالي الحشرات و الحيوانات مظاهر الكفر و العصيان و الخوف و الشدة و الالم و العذاب ليعلم الانسان هذه الامور و كيفية النظام و الانتظام. فلا يلزم لتعلّم الكفر ان يخلق الانسان كافرا او لتعليم العصيان ان يخلقه عاصيا او لتعليم العذاب ان يجعله جبارا فاسقا يعذب عباد الله و غير ذلك بل الانسان يجعل نفسه كافرا و عاصيا بسوء اختياره مع انه في فطرته كان مسلما.

و اما ان قلت يخبر الله تعالي بانه جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، و الكفر و العدوان علي الانبياء مجعول بالله تبارك و تعالي و انه تعالي هو الذي جعل عدوا للانبياء و عدو الانبياء كافر، و الجعل اشد من الخلق. فان الجعل يخبر عما جعل في فطرة الانسان و جبلته و يخبر عن خواص و اقتضاء جعل في ذوات المخلوقات كما انه تعالي يجعل الحياة في الاجسام و القدرة و الحركه فيها و ساير الخواص المجعولة في ذوات الموجودات و الجعل قبل الخلق. ان الخلق بمعني تقدير الذوات و تربيتها علي قواعد مخصوصه ليكون بعد هذا التقدير و الترتيب موجودا خاصا من الموجودات كما يركب الله تعالي الاملاح و المواد علي تقدير خاص و هندسة مخصوصه ينقلب الشيئ بهذا التقدير حيوانا و نباتا و جمادا مخصوصه. فانه تعالي يجعل المواد المختلفه بما يجعل فيها حركة مخصوصة بافاضة روح القوه ثم يركب هذه الاملاح بعضها ببعض .

فالجعل يخبر عن ايجاد الحركة و روح القوه في المواد ليكون بعضها مثلا( اكسيجن )و بعضها( ئيدروجن )و بعضها يقال لها( ازت)ثم يركب هذا الوحدات يدخل بعض موادها في بعض فينقلب مائا و يجعل بعض هذه مع بعضه ينقلب هوائا. فان الماء و الهواء كلاهما صنعتا من هذه الغازات من الاكسيجن و الئيدروجن الاّ ان هذين في صنع الماء مركبتان و في صنع الهواء مخلوطتان، و الخلط غير التركيب. فان التركيب يظهر من ورود الاجزاء المختلفه بعضها ببعض و تبادل الاثر بينها و التركيب يظهر بمقارنة الاجزاء المختلفه بعضها مع بعض من غير تبادل الاثر بينهما. يسمي مثل هذه التركيب و الخلط( خلقا )و يسمي صنع المواد الاوليه التي يظهر بها الخلط و التركيب( جعلا ). و الجعل يخبر عن ذوات الاشياء و الخلق يخبر عن تركيب هذه الذوات و خلط بعضها مع بعض علي هيئة المخصوصه. فيخبر الله تعالي في هذه الايه بانه يجعل عدوا للانبياء و يخبر بان العداوة امر ذاتي مجعول في ذوات الكافرين و فطرتها. فيدل هذه الجعل علي انه تعالي يجعل الكافر كافرا و المومن مومنا. فكيف يمكن ان يقال بان الكفر و العدوان امر اختياري يظهر بسوء الاختيار من غير ان يكون بارادة الله تعالي و صنعه. فالايات في كتاب الله يدل علي ان الكفر و الايمان مجعولان لله تعالي. فيقول: قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبهم… فيقال فلو كان الكفر و الايمان بقضاوة هذه الايه مجعولان بجعل الله تعالي فكيف يامر الله تعالي الكافر ان يعمل عملا خلاف ما هو مجعول مجبول في ذاته او المومن كذلك ؟

فيقال في الجواب ان الانسان خلق بارادة الله تبارك و تعالي من اصلين: اصل مادي جبّل الله تعالي الانسان في خلقته بمواد المختلفه كما يقول في كتابه: انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا… و يقول مولانا علي( ع )في خلق الادم: ان الله تعالي اخذ من سهل الارض و سبخها و عذبها تربة سنّها بالماء حتي لزبت.. فيصف عليه السلام بانه اذا اراد ان يخلق ادم اخذ من اجناس المواد و الاملاح المختلفه في التراب قبضة فخلق منها ادم. فان الله تعالي لم يخلق في العالم مادة بكيفية مخصوصه يخلق منها اجناس الخلائق الاّ و جعل منها نموذجة في وجود الانسان. فكان الانسان كل ما في العالم و العالم كل ما في الانسان. و الانسان عالم كبير و غيره مما سوي الله عالم صغير. هذا الانسان في جنسيته الماديه التي خلق بها عظمه و لحمه و دمه. ثم اخذ تبارك و تعالي اصلا اخري و هو الروح و الروحانيه مما صنع بها الملائكه و الارواح و ركّب هذين الاصلين بعضها مع بعض فخلق منها الانسان علي احسن هيئة و صورة بلا عيب و نقص كما يقول: لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم… فالانسان في خلقته مركب من جسم و روح، بدء من جسمه و مزاجه الغرائز كمثل الشهوة و الغضب و البخل و الحسد و الطمع و الحرص و غيره من ساير الغرائز و بدء من روحها العلم و العقل و الحكمه و النزاهة و النباهه و ساير ما يتخلق به باخلاق الله تعالي. و هذا كيفية خلق الانسان مومنهم و كافرهم. فلو لم يخلق الله تعالي الانسان علي هذه الهيئة و التركيب و لم يخلق في مزاجه مادة من المواد مما خلق في العالم او لم يخلق في فطرته ما يقتضيه العلم و الحكمه بالروح و الروحانيه لم يكن الانسان ليفهم او يصل بوجوده و عقله و فطرته الي ما خلق الله تعالي. فلم يمكن له ان يعلم ما لم يجعل الله تعالي في مزاجه و فطرته. إحسب ان الله تعالي لم يخلق في الانسان شهوة و غضبا و ساير ما يتعلق بهذين الصفتين و خلق الانسان خاليا من عوامل يوجد فيه الشهوة و الغضب. فحينئذ ينقلب الانسان جمادا او مثلها لا يدري و لا يعلم ما هي الغضب و متعلقاتها فلم يقدر ان يدافع عن نفسه ما يزاحمه او لم يلائمه من الحوادث و الافات. فعلي ذلك يجب علي الله تعالي اذ خلق الانسان خلقا كاملا مكملا يكون خليفته علي خلقه ان يجعل في طبيعة الانسان و فطرته ما ثبت في علمه تعالي بكل ما خلق في العالم. فان الله تعالي بعلمه و حكمته و قدرته محيط بكل ما خلق لا يخرج شيئ او شخص عن حيطة قدرته و حكمته. فهو تعالي بذاته و وجوده مربوط مرتبط بكل جماد و نبات و حيوان و انسان و محيط بالملائكه المقربين و الروحانيين. فهو تعالي يجعل الانسان خليفته يريد ان يقيمه مقامه يحكم علي كل شيئ و شخص من الماديين و الروحانيين. يملك الجن و الانس و الملائكة اجمعين كما امر الملائكة و الجن ان يسجدوا لادم. فاذا اراد ذلك ان يجعل في مقامه انسانا يملك ما يملك و يريد ما يريد، يحكم علي ما يحكم و يعلم ما يعلم يجب ان يجعل في وجود الانسان ما يقدر به ان يرتبط و يصل بكل شيئ و شخص في العالمين. فاذا كان الانسان في خلقته ناقصا لم يجعل الله تعالي في وچوده ما جعل في الحيوانات او لم يجعل في وجوده ما جعل في الملائكه و الروحانيات لا يقدر هذا الانسان الناقص ان يملك ما لا يكون في وجوده و لا يقدر ان يعلمه و هل يقدر الناقص ان يملك الكامل؟ فاذا كان في وجود الملائكة و الارواح خصائص النور و الروح و لم يكن هذه الخصائص في وجود الانسان كانت الملائكة اعلم بما في الروح و النور منه و لا يجوز ان يملك الجاهل العالم. و كذلك اذا لم يكن في وجود الانسان ما جعل الله تعالي في طبيعة الحيوانات و مزاجها او في طبيعة النباتات يكون الحيوانات و النباتات اعلم بما في وجودهما من الانسان الذي لا يجد في وجوده و طبيعته ما يجد الحيوان في طبيعته و لا يقدر الانسان ان يملك ما يجهله .

فعلي قضية ان الله تعالي يريد ان يجعل الانسان في مقام جمع الجمع و يخلقه جامعا لكل ما خلق في العالم يجب عليه تعالي ان يجعل من كل شيئ خلقه نموذجة في طبيعة الانسان. و لذلك يخبر بانه خلق الانسان من نطفة امشاج. و الامشاج بمعني الاخلاط. يعني بذلك انه تعالي جعل في نطفة خلق منها الانسان ما يكون في نطف جميع الجمادات و النباتات و الحيوانات. فالانسان بتلك الجامعيه في خلقته يفوق كل شيئ يكون في العالم من الماديات. ثم انه تعالي اراد ان يجعل الانسان حاكما علي الملائك و الروحانيات بما في فطرته من العلم و الحكمة و النباهة و النزاهه. فان الملائكه مظاهر علم الله و حكمته يظهر الله تعالي بهم علمه و حكمته في العالمين. فاراد الله تعالي ان يجعل في فطرة الانسان ما جعل في الملائك و الروحانيات من النزاهة و القدس و العصمة و الحكمه. فجعل في فطرته ما يقتضيه العلوم من الحق و الباطل و الحكمه .

و الفطرة غير المزاج و الطبيعه. المزاج و الطبيعة ما يقتضيه المواد و الاملاح في طبيعة الانسان، كما يقتضي المزاج العطش و لا يدع اقتضائه الا بشرب الماء. او يقتضي المزاج من انواع الاغذية و لو لم يغتذ باغذية المختلفه مما يطلبه مزاجه بجوعه و عطشه لم يدع صاحبه ما لم يشبع منها. فمزاج الانسان كمزاج الانعام يعتلف بالنباتات و مثل مزاج الطيور يغتذي بالحبوبات و مثل السباع يغتذي باللحوم و الدسوم. فهذه الاقتضائات ينشأ من طبيعة الانسان و مزاجه بما خلقه الله تعالي و ركبه من الاملاح المختلفه و المواد المتفاوته. و الفطرة اصل اخري في طبيعة الانسان حاكمة علي طبيعته و هي ما يقتضيه العلم و الحكمه و المسئولية. فالانسان بطبيعته يطلب الماء و الغذاء و بفطرته يطلب الحلال منها دون الحرام. و بطبيعته يطلب ما في ايدي الناس من الاموال و الامتعه و بفطرته يطلب رضي الناس و رضي الله فيما يطلب من الاموال. و كذلك في كل ما يقتضي في مزاج الانسان، يحكم عليه فطرته بحق او باطل. فكماان الانسان بطبيعته يطلب المواد و الاغذيه، بفطرته يطلب الدين و العلم و الحكمه. فالحيوانات مظاهر الطبيعه فقط. لم يجعل الله تعالي في فطرتهم شيئا من العلم و الحكمه او يقال لم يفطر الله الحيوانات علي فطرة كما فطر الناس علي الدين. يقول في كتابه يخاطب نبيه: اقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله… فالانسان مجعول معجون من الطبيعة و الفطرة تنشأ الفطرة باقتضاء روحه و علمه و الطبيعة باقتضاء دمه و مزاجه. تبعث فطرته من الروح و الملائك و طبيعته من المزاج و الاملاح التي جعلت في مزاجه.

فمن هناك نرجع الي ما قلنا في اول البحث ان الانسان مجبور علي الحركه في طريق حق او باطل. فان اختار طريق الحق يجبر علي الحركه فيها او اختار طريق الباطل ايضا مجبور علي الحركه فيها لان الحركه في طريق الحق علي فطرته التي فطره عليها، و الحركة في طريق الباطل علي طبيعته و مزاجه التي طبعه الله عليها. فلا يقدر احد ان يخالف طبيعته او فطرته. فالحرية انما هي علي اختيار طريق الحق او الباطل لا الحركة فيها. فلو لم يخلق الله الانسان علي طبيعته و مزاجه لكان كالجمادات لا يطلب شيئا و لا يتحرك اليه. فلا يكون حينئذ انسانا بل هو جمادا و غير ذلك. و لذلك لو لم يفطر الله تعالي الناس علي طلب الحق و رضي الله لم يسلك طريق الحق و لم يطلب دين الله و ابتغاء مرضات الله. فجعله الله تعالي بين هذين الاقتضائين الطبيعة و الفطره حرا مختارا غير مجبور ان يكون في احد هذين الطريقين ولكنه اذ اختار احدي هذين الطريقين تجبره الحياة و المعاش ان يطلب ما يقتضيه بطبيعته و مزاجه من حق او باطل. فحينئذ لو سلك سبيل طبيعته و أهمل فطرته فهو كافر بالله العظيم يضيّع حق الله و حق الناس عليه فينقلب عدوا لله و للمومنين. و لو سلك سبيل فطرته فهو مومن بالله العظيم يحيي بسلوكه هذا حق الله و حق المومنين عليه فيحبه الله و المومنون. فعليذلك نقول الكفر ينشأ من الحركه في سبيل ما تقتضيه الطبيعة و المزاج و اهمال الفطرة و حكم العقل. فالكفر ينشأ بسوء الاختيار. لا يجعل الله الكافر كافرا، و كذلك الايمان ينشأ بحسن الاختيار. لا يجعل الله تعالي المومن مومنا، الا ان الله تعالي يؤيد المومنين و يوفقهم و يدع الكافرين علي ضلالتهم بعد اختيار طريق الكفر بسوء نيتهم. و من توابع سوء النيه و اختيار طريق الكفر العداوة لاولياء الله و انبيائه. فليس ظهور هذه العداوة للنبيين و التضاد بين المومن و الكافر من قبيل خلق النور و الظلمه و ساير الاضداد و النقائص ليقول احد ان الكفر و الايمان مجعولان بجعل الله تعالي كساير الاضداد مثل الليل و النهار و الحر و البرد و غيرهما.

ثم يقول الله تعالي في اية الاثنين و الثلاثين:

الایه، 33- و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه جملة واحده كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا…

فيذكر الله تعالي في هذه الايه ما يعترض المنافقون و المجادلون المبطلون علي كيفية نزول آي القران علي رسول الله(ص )، يقولون لولا نزّل هذا القران جملة واحده. و هذا الاعتراض تدل علي انهم يظنون ان كتاب الله المنزل علي النبي( ص )كساير الكتب الذي يكتبها العلماء و يرسلونها علي من يحبون. و نظير هذه الاعتراض ما في آية التسعة و الثمانيه من سورة بني اسرائيل، يقولون: لن نومن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا نقرؤه… ينتظرون من الله تعالي ان ينزل عليهم مكتوبا يلمسونه بايديهم كساير المكتوبات التي تحمله البريد من بلد الي بلد. يقولون لو كنت رسول الله الينا يجب علينا اطاعتك فليرسل الله الينا مكتوبا يامرنا فيه باتباعك. مثلا يكتب في كتابه الينا من الله العزيز الحكيم الي ابي جهل و ابي لهب و غيرهما من رؤساء قريش اعلموا ان محمدا رسولي ارسلته اليكم فاطيعوه و اتبعوا امره !!

و في هذه الايه ايضا يذكر ما يعترضون علي نزول الكتاب يقولون لولا يكتب الله كتابه كاملا مفصلا ثم يرسل به الي محمد رسوله كما يرسل عالم كتابا كتبه الي غيره من العلماء؟! يظنون ان كتب الله تعالي ينزل الي الانبياء بكيفية مكتوبات التي ترسل بالبريد من بلد الي بلد، و لا يعلمون ان كتبه تعالي علمه و حكمته يوحي بها الي نبي من الانبياء او يعلّمه نبيه. و نزول العلم و الحكمه من الله تعالي علي بشر متوقف علي كمال العقل و الاستعداد في انسان يوحي الله اليه او يعلّمه كما يقول في آية اخري: ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه… و لا يوحي الله تعالي الي احد او يكلمه الا بعد ايمان هذا العبد و كمال عقله و استعداده. فلا يمكن ان يوحي الله تعالي الي من لم يكن مومنا بالله العظيم كالكافرين و المنافقين و ضعفاء العقول لان نزول العلم علي هؤلاء كمثل نزول الماء علي من لم يكن عطشانا و لا ينتظره. فنزول الكتاب علي نبي من الانبياء كمثل نزول الغيث و المطر علي ارض مستعدة سهلة عذب لنبت النباتات و غرس الاشجار. فلا ينزل من السماء مطر علي ارض سبخة او صلدة لا ينبت فيه النباتات و لا يستقي من المطر و مياه اخري. فالله تبارك و تعالي يطلب عبدا من عبيده يومن به، يربيه و يؤيده بروح العلم و الحكمه و ينبته كما ينبت الاشجار، يقويها ثم يخرج منها ثمراتها. يقول في كتابه: و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان…

و يقول في سورة مريم: و انبتها نباتا حسنا… فاذا ابلغ الله تعالي مومنا الي رشده الّلايق به و اكمل فيه عقله و استعداده ليعرف ربه و يخشيه فيتهيأ بهذا الرشد و الاستعداد ان يامره الله تعالي امره فياتمر او ينهيه فينتهي فيوحي اليه تعالي علي مقدار عقل هذا النبي و استعداده كما يقول: تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله… و روي في كتاب الكافي: ان الله تعالي اتخذ ابراهيم عبدا قبل ان يتخذه نبيا و اتخذه نبيا قبل ان يتخذه رسولا و اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا و اتخذه خليلا قبل ان يتخذه اماما فقال: اني جاعلك للناس اماما… فمن لم يومن بالله العظيم و لم يخلع الانداد لم يكن عبدا لله تعالي و من لم يكن عبدا لله تعالي لا يعلّمه الله تعالي و لا يتعلم هذا العبد منه و لا يؤيده بروح الايمان و التقوي، و من لم يؤيده تعالي بروح الايمان لا يمكن ان يوحي اليه او يكلمه او يامره بامر كما يقول: و ما كنت متخذي المضلين عضدا…

فلو كان الكتاب المنزل من السماء الي الانبياء كصحائف المكتوبة المرسله بالبريد و امثاله كما يظن هؤلاء الكفار، يجوز ان ينزل هذه المكاتيب الي كل احد كافرا كان او مومنا. ولكن هذه الكتب المنزلة من السماء علم و حكمة ينزل بروح الايمان علي قلب المومن فيعلمه ثم يكتب ما تعلّمه من الله تعالي في الصحائف او يكتب غيره كما كان ينزل آي القران علي قلب النبي( ص )فيقرأه علي الناس و يكتبه الكاتبون. فاذا كان الكتب المنزلة من السماء علم و حكمه و كلام يتلقيه النبي( ص )بروح القدس فلا يمكن ان ينزل هذا العلم علي من لم يؤيده الله تعالي بروح الايمان و لا يجوز ان ينزل علي غير المومنين الذين لم يؤيدهم الله تعالي بروح القدس. فان روح القدس و روح النبوه روح اخري بعد روح الايمان فيتلقي النبي العلم و الحكمه بهذا الروح من الله تبارك و تعالي و لذلك يقول: و كذلك انزلنا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء… فيعبّر عن العلم المنزلة الي النبي بالروح. فلو كان هذا الروح التي هي العلم، حقيقتا كساير الارواح في المخلوقات كروح الحياة في الحيوانات او روح النباتيه في النباتات، لم يكن ليخصها الله تعالي نبيه، و كان ساير الارواح علما في روحانيته و كانت الحيوانات و ساير افراد البشر غير الانبياء علماء حكماء بروح الحياة الذي افاض الله تعالي اليهم. و في الحديث الواردة عن الامام عليه السلام في كتاب الكافي يقسّم الارواح الي خمسة، و هي روح الاستمساك في الجمادات، يمسك الله تعالي به المواد بعضها ببعض لتكون جسما ثم الروح في النباتات و هي روح النباتيه، ينبت الله تعالي به الاشجار و النباتات. ثم بعد ذلك روح الحياة في الحيوانات يحسسن بها من خارج وجودها ما يلائمها و ما يزاحمها. ثم روح العلم في الانسان بها يدرك و يفهم و يمشي في الاسواق. ثم بعد ذلك روح الايمان في المومنين، به يعبد الله تعالي و يكتسب الجنه. ينشأ من هذا الروح العقل و الفقه كما ينشأ من الروح قبل ذلك العلم و التجربه. فالكفار مجهزون بروح العلم يعلمون بها كيف حياتهم و معاشهم في الدنيا، ياكلون و يشربون بها و لا يعلمون بتلك الروح في ماوراء الحياة الدنيا من الجنة و النار او في ماوراء الطبايع في العالم من الملائكه و الروح، و لا يعرفون ما هو المومن و ما هي الايمان. لا يقدرون ان يعبدوا ربهم و يكتسبوا به الجنان كما يكتسب المومن الجنه، يعقل ربه فيعبده. ثم بعد روح الايمان روح النبوه، او روح القدس، يتعلم بها المومن من ربه تعالي علما و حكمة. ينبّئه الله تعالي بهذا الروح العلم و الحكمه و الاحكام، فيكون نبيا و رسولا الي العباد. ثم بعد تلك الروح و هي روح القدس، روح الهي يصفه مولانا علي( ع )بالكلية الالاهيه. يصف الارواح بانها نامية نباتيه و حسّيّة حيوانيه، الي ان يصف الروح في تكاملها بالكلية الالاهيه. فكل من فقد روحا من هذه الارواح يكون ميتا بالنسبة الي من وجده. فالجمادات ميت بالنسبة الي النباتات و النباتات بالنسبة الي الحيوانات كذلك الحيوانات بالنسبة الي الانسان اذ لا يعلمن ما يكون فيها الانسان من العيش و الحياة. ثم الكافرون ميّتون بالنسبة الي المومنين. لا يعرفون ما الايمان و ما الروح و الملائكه و الفقه و الحكمه و ما هي حياة الدنيا و الاخره. يقول الله تبارك و تعالي يخاطب نبيه انك تسمع من كان حيا و ما انت بمسمع من في القبور.. و لم يكن رسول الله( ص )ليخاطب اهل القبور في دعوته. فيصف الله هؤلاء الكفار بالاموات في قبورهم لانهم مدفونون في قبور الابدان لا يعرفون ما هي الامر في خارج البدن و ما يتلوه من الحياة الحيوانيه. و كذلك المومن بالنسبة الي روح النبوه و روح القدس. فكل من فقد روحا من هذه الارواح فقد ما يتّبعه من الاثار و انما يوحي الله تعالي الكتب و الاحكام الي من ايّده بروح القدس من الانبياء و لا يمكن ان ينزل العلم و الحكمه الي من فقد هذا الروح كما لا يمكن للانسان ان يكلم الانعام فيخاطبها و يعلمها.

ثم يذكر الله تعالي في ذيل هذه الايه يبين فيها كيفية نزول اي القران نجما فنجما يقول: كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا… و يذكر انه لابد من تثبيت قلب رسوله علي ما انزل عليه سورة او آية ثم بعد التثبيت ينزل عليه آية او سورة اخري. فان الايات لها لطائف و حقائق و دقائق من المعاني لابد لرسول الله( ص )ان يدرك تلك المعاني بدقائقها و لطائفها الي اخرها ثم يثبت عليها قلبه مومنة مطمئنة بمعانيها. مثلا ينزل الله تعالي اية في سورة( الحاقه )يقول: و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه… يدل بظاهره ان لله عرشا كساير الملوك و الله تعالي علي عرشه جالس او متكئ عليه. و هذا الفهم من ظاهر الايه خلاف ما هو الواقع اذ يدل بظاهرها ان الله تعالي يستوي علي شيئ مثل العرش و العرش مكانه. فيدل علي ان العرش محدود و من استوي عليه ايضا محدود، و هذه المحدوديه في العرش و ذو العرش خلاف ما هو واقع، اذ العرش و من عليها غير متناهيين في وجودهما. يقول مولانا علي( ع )، يصف ربه بانه غير متناه في وجوده:

و من قال علي م فقد اخلي منه و من قال فيم فقد ضمّنه… فمن ظن ان العرش شيئ و الله تعالي مستوي عليه فقد جعل الله تعالي علي شيئ و اخلي عنه ساير الامكنه فجعل الله تعالي محدودا لا ينال بعلمه و قدرته خارج حد وجوده.فاذا انزل الله تعالي مثل هذه الايات علي رسوله يجب علي رسوله( ص )ان يري العرش و من عليها ليثبت بذلك فؤاده فلا يظن انه تعالي محدود في زمان و مكان. و كذلك اذا انزل عليه آيات يعده بالنصر و انه عليه السلام يغلب علي اعدائه مع انه في شدة الضعف و اعدائه في شدة القوي فيجب علي الله تعالي ان ينزل عليه نصره في غزواته و يذل اعدائه فيثبت بذلك قلب رسوله. و هكذا كل آية من الايات او سورة من السور وعد من الله تعالي يعده رسوله. فلابد من تثبيت قلب الرسول بانجاز وعده ليطمئن بذلك قلبه كاملا ثم يعد هو امته بما وعده الله تعالي. فيذكر في هذه الايه حكمة نزول الايات بالترتيب و التنجيم فيقول كذلك ننزل عليك الايات نجما بعد نجم ليثبت به فؤادك ونرتله للناس ترتيلا. و الترتيل بمعني التبيين. فاذا انزل الله تعالي اية في كتابه مثل ايات البدر يعده بالنصر ثم ينصره علي عدوه يتبين هذه الايات بتلك النصر و الغلبه. فيوضح الله تعالي معني الترتيل بعد هذه الايه يقول:

الایه، 33- و لا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق و احسن تفسيرا…

فيقول لا يسئلون الناس عنك مسئلة الّا و نبينّ سؤالهم باحسن جواب و احسن تفسير. فالمسائل من الناس عن الرسول او الائمه سلام الله علیهم اجمعین علي اقسام. قسم منها سؤالات تعلّمي يريد السائل بسؤاله ان يتعلّم حكما من الاحكام او حكمة هذا الحكم كما سئلوا رسول الله( ص )عن حكم شرب الخمر فاجابهم الله تعالي بالحكم اولا و بالحكمة ثانيا فقال: يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما اثم كبير و منافع للناس... فبيّن حرمة شرب الخمر بما عرفها بانها اثم، و الاثم عمل محرّم. ثم بيّن حكمة شرب الخمر بقوله: انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس... ثم قال: يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكر الله… فايقاع البغضاء و العداوة بين الناس و الصدّ عن ذكر الله و عن الصلوة حكمة شرب الخمر. فبيّن الله تعالي في الاجوبه عن سؤال شرب الخمر حكمة حرمتها.

ثم هناك سؤال عن جهل السائل بماهية الحكم. يقول الله تعالي: لاتسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم... و هذا سؤال عن علم لا يحتاجون اليه. فلو بيّنه الله تعالي يسوء السائل بالبيان و هذا كمثل سؤالهم عن الحسن ابن علي( ع ) عما بايع معاويه ابن ابي سفيان و فوّض الامر اليه. فلو اجاب الامام السائل حكمة مصالحته و قال للسائل انما صالحت معاوية بما تركتم دينكم و اقبلتم علي دنياكم تسوء السائل هذه الجواب فيظن بهذه الجواب انه غير متدين بدين الاسلام و انه كافر بالله العظيم بما افتتن بدنيا معاويه ابن ابي سفيان و ترك معادن الفضل و الفضيله وراء ظهره. فخير الجواب ما اجاب الله تعالي عن سؤال السائلين بقوله: ان تبد لكم تسؤكم.. لان الائمه( ع )لو ابدئوا للناس دينهم الواقعي و هي تسليم الكامل لاولياء الامور لا يحتملون هذا الجواب او يكونون كافرا بالله العظيم و لا يظنون انفسهم كافرا بمخالفتهم الائمه( ع ).

و هناك سؤال اخري انكاريّ. يسئل السائل شيئا لا يحتمل جوابه فينكره. فيجيبه الله تعالي باحسن الجواب و احسن التفسيركما سئل ابي ابن كعب عن رسول الله( ص )اتاه بعظام رميم و قال: من يحيي العظام و هي رميم... فاجابه الله تعالي بقوله: قل يحييها الذي انشأها اول مرة و هو بكل خلق عليم... فاجابه تعالي بمثل مَن سئل مِن احياء الموتي و قال له: كنتَ قبل ذلك ترابا فخلقك الله فكيف تنكر قدرة الله علي خلقك بعد ما صرت عظاما؟ فخلقُ الناس من العظام أيسر له تعالي من خلق الناس من التراب كما يقول في اية اخري بان بعث الاموات أهون علي الله تعالي من خلقهم الاولي من ارحام الامهات. فتري مثل هذه الايات ياتيهم الله تعالي باحسن التفسير و احسن الامثال. فبيّن كيفية ترتيل الايات بما يفسرها او يمثّلها في عقل الانسان و تفكره .

ثم يذكر الله تبارك و تعالي في اية الرابع و الثلاثين كيفية حشر المجرمين الظالمين علي وجوههم يوم القيامه فيقول یحشر هؤلاء الکفار و المنافقین علی وجوههم الی جهنم.

الایه، 34- الذین یحشرون علی وجوههم الی جهنم اولئک شر مکانا و اضلّ سبیلا...

فيتعدي تارة فعل الحشر بعلي و بِاِِِلي تارة اخري. يقول: يحشرون علي وجوههم الي جهنم.. و نظير هذه الايه اية اخري في سورة( الملك )يقول الله تعالي: أفمن يمشي مكبا علي وجهه اهدي أمّن يمشي سويا علي صراط مستقيم… فيشبّه الله تعالي مشي الكفرة الفجره بمن يمشي علي غير طريقه مكبا علي وجهه كمثل من يمشي في الطريق ملقيا علي بطنه ماشيا بيده و بطنه كمثل الحيّات و العقارب. فان الذي يمشي مكبا علي وجهه لا يقدر ان ينظر الي طريقه من بعيد و لا يقدر ان يتميز الطريق عن غير الطريق أهي في الطريق او منحرفا عنها، فيجرّ به الفلوات و المفاوز الي الهلاك. فان الذي يسلك طريقا الي بلد يريده و يقصده يجب له ان يقف قائما ينظر الي الطريق و اطرافها ليعرف الطريق من غيرها فيسلكه الي بلد يريده سويا قائما. فمن اكبّ علي وجهه يمشي كمثل الحيه لا يقدر ان يري الطريق فيميزها من غير الطريق و لا يقدر ان يعرف مواضع قدمه فيتخطئ قدما قدما. فهو يمشي في الطريق كمثل العمياء فيضل حتما يقينا و لا يدري مآل امره في حركاته و سكناته. فلابد ان يعرف الانسان انّ له بلدين يجب ان يمشي اليها قائما. و يمكن ان يقال ان للانسان في قيامه الي المقصد قيامات ثلاثه و حالات ثلاثه. اِما يمشي مكبا علي وجهه او يمشي سويا علي صراط مستقيم. فالقيام الاولي يمشي ببدنه مكبا علي الطريق ينظر بعينه. و القيام الثاني يقوم بفكره و علمه و يري الطريق بعقله. و في القيام الثالث يقوم علي الطريق بعقله، ينظر باطاعة ربه. فالقيام الاولي مثّله الله تعالي في هذه الايه يقول: أفمن يمشي مكبا علي وجهه.. فهذا مَثَل من يمشي كمثل النمل و الحية و العقارب، لا يمكنه ان يري الطريق فيمشي. فيضل حتما عن الطريق. لا يمكنه ان يمشي من بلد الي بلد او من مكان الي مكان اخري يقصده. و القائم الثاني كمثل من عمل بعلمه و يدع عقله. فهو ايضا كمثل من يمشي مكبا علي وجهه. فان العلم يريك الحياة الدنيا و يبصّرك كيف تعيش ولكن لايريك الحياة الاخره، و انها لايحصل لك الا ان تعمل بعملك علي اطاعة الله. هذا كمثل العلماء العاملين بغير علمهم. فانه بعلمه يعرف عيش الدنيا و كيف يجمع الاموال لنفسه و لا يعرف الاخره. فاذا عمل بعلمه بهداية عقله فانه يجعل علمه مركبا يركبه فيكتسب بعقله الجنه. فبالعلم قيامه و بالعقل رويته. يريد العقل ان يعمل بعلمه كذا و كذا، يجمع الاموال و ينفقها في سبيل الله. فهذا القائم العامل بعلمه بهداية عقله مثل من يمشي سويا علي صراط مستقيم. يري الصراط بعلمه و يهتدي الي استقامة الصراط بعقله. و من اخذ بعلمه و ترك عقله فهو ايضا كمن يمشي مكبا علي وجهه. فان العقل مع العلم كالعين مع البدن. فلو جعل علمه ملازما لهداية عقله يريد عقله الطريق الي اخرها و الي المقصد فيمشي علي صراط مستقيم. فان العقل كما عرّفته الائمه( ع )قدرة في وجود الانسان يعبد به الرحمن فيكتسب به الجنان. فما اكثر من العلماء يضلون عن الطريق كما تري عالما في علمه و هو كافر بربه في عمله. بعلمه يعرف الحق و الباطل و بعمله يتبع الهوي بهوي نفسه. بعلمه يعرف الحق و اهل الحق و بعمله يخالفهم او يبارزهم فيقتلهم. فهو يمشي ايضا مكبا علي وجهه لانه اعمي عين علمه و هو العقل. فهو عمياء بعلمه. جعل علمه حجاب عقله كالذي جعل مقاديم بدنه حجاب عينه فمشي مكبا علي وجهه. و القائم الثالث هو الذي يقوم بالعقل و الايمان .

و يلزم ان يقال ان الناس في سلوكهم طريق السعادة او الشقاوه علي اربعة اقسام. قسم منهم يمشي بجهله، لا يري الطريق و لا غير الطريق. يمشي اما جاهلا بحقيقة الامور و المسائل او تابعا للجهلاء و الكافرين. فهو من الهمج، كما روي عن مولانا اميرالمومنين: الناس ثلاثه عالم رباني و متعلم علي سبيل النجاة و همج. فهو هالك قطعا يقينا بجهله و سفاهته الاّ ان يتعلم او يتوب. و القسم الثاني من يسلك الطريق بعلم و تجربة ينال به الحياة الدنياويه لا يومن بالله و اليوم الاخر و لا يعمل عملا يريد به سعادة الاخره. انما يعمل و يفعل صالحا او غير صالح لينال به دنياه من حق او باطل او حلال او حرام. فهو من الظلمة الذين يقول رسول الله( ص )فيهم يخاطب عليا( ع ): يا علي المال يعسوب الظلمه و انت يعسوب المومنين. فهو ايضا من الذين يمشون مكبا علي وجههم او يحشرون علي وجههم الي النار، لانه يكون ظالما اما بنفسه او بغيره و الظالم يسلك بظلمه سبيل النار و الهلاكه. الثالث من يسلك سبيل ربه بعلمه الذي تعلّمه من عالم رباني، كمن تعلم من الانبياء او من العلماء الذين سلكوا مسلكهم و هو يومن بالله تعالي و اليوم الاخر و يعمل صالحا لاخرته. يعمل بعلمه و عقله. بعلمه الذي تعلّمه من اولياء الله و بعقله علي طبق ما يري حقا او باطلا. فهو المتعلم علي سبيل النجاة كما قال مولانا علي (ع ). و القسم الرابع العلماء و الفقهاء الذين اهتدوا بهداية الله تعالي و تفقهوا في دينه علي تعليم منه من الذين عرّفهم الله تعالي نفسه و نبيه و حجته. فهو من اولياء الله من المومنين الكملين. يطلبوا الامرمنه تعالي آنا فآنا و يعمل علي امر امره الله تعالي بلا واسطة من ملك او نبي او ولي من اولياء الله. فهو يسلك طريق الحق بعلمه و عقله باطاعة ربه بامر يامره الله تعالي او نهي ينهاه الله تعالي في كل حال من الحالات. فهو الذي بني حياته علي ثلاثة اركان. علي علم مما تعلم و علي عقل مما تعقل و علي اطاعة ربه، و الاطاعة فوق كل علم و عقل. لان من دار علي مدار اطاعة الله تعالي يخاطبه ربه فيامره و ينهاه و يريد الحق حقا و الباطل باطلا يعلم كما علم الله و يعمل كما امر الله. جعل نفسه و قوام امره و قيامه و قعوده بيد الله تعالي. فهو من الذين قال الله تعالي فيهم: اُفوض امري الي الله ان الله بصير بالعباد… فهو من اولياء الله الكملين الكاملين المعصومين لا يضل و لا يزل و لا يخطئ و لا يجهل و لا يشتبه عليه امر من الامور. يعلم كما يعلم الله و يعمل كما يريد الله تعالي. معصوم محفوظ من الزلل و الخطأ و الخلل، كامثال الائمة المعصومين و محمد خاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين. فاثنان من تلك الاربعه ناج من الهلاكه في الدنيا و الاخره، من اهل الجنه. و اثنان منهم هالك مكب علي وجهه يُحشر علي وجوههم صما و عميانا. و يمكن ان يقال القسم الاولي من هذه الاربعه من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا عسي الله ان يعفو عنهم بعد الحشر مع الذين اطاعوهم في الدنيا و لم يدروا أحق من يطيعوهم او باطل.

بقي هناك تفسير كلمة( الحشر )في هذه الايه و امثالها. يتعدي تارة به علي يقول: يحشرون علي وجوههم.. و تارة بكلمة الي يقول: يحشرون الي جهنم… فيحكي ربنا لنا هناك كيفية حياة الكافر و الظالم. فانهم في حركاتهم و حياتهم يحشرون علي وجوههم و بهذا الحشر سالكون طريق الهلاكه و النار. فمن حيث انهم لا يرون في حياتهم الا الدنيا و زخارفها، لا يتعقلون و لا يعقلون و لا يتدينون بدين الله و لا يعملون عملا صالحا لاخرتهم يقول الله تعالي انهم يحشرون علي وجوههم. و الوجه في هذه الايه و ايات اخري ما يريدون في عيشهم و هي الحياة الدنيا. نظير قوله تعالي: يؤخذ بالنواصي و الاقدام. فان الناس كما يُعرف ابدانهم بوجوههم و رؤسهم، و وجوههم و صورتهم هي التي يعرّفهم للناس و يعرفونهم الناس بها كذلك يُعرفون باهدافهم في حياتهم. فانك تري رجلا تعرفه تقول هو فلان ابن فلان، تعرّفه و تعرفه بوجهه و صورته علي مقاديم بدنه. و تارة تعرّفه و تقول هو عالم صالح او فاجر طالح، مومن او كافر و غير ذلك. تعرفه باعماله و اخلاقه و اهدافه و تعرّفه كذلك. فتعرفه بوجهين و تعرّفه كذلك بوجهين. وجه الاولي و هي صورته و وجهه علي مقاديم بدنه. عرفته بانه رجل او امراه ابن فلان و كذا، و وجه الثانيه هدفه و اعماله في حياته. فتراه حريصا بطلب الدنيا لا يري حقا و باطلا بل يريد المال و الثروه و الحياة الدنياويه. فهو تاجر او صانع او زارع و غيرذلك من الاشتغالات و الاكتسابات ولكن تعرفه بانه لا يريد بهذه الاشتغالات الا الدنيا و زخارفها. فالانسان ذو وجهين. وجه في بدنه و وجه اخري في اكتساباته و اشتغالاته. فالمؤمن باعماله يريد الاخره و يعمل عملا صالحا تطلب بها سعادة الاخره و الكافر لا يريد الا الدنيا و لايستهدف باعماله الا المال و الثروه، و كل منهما ينال ما يريد. فمن يريد الدنيا ينالها و من يريد الاخره ينالها. فكلاهما يحشرون علي وجوههم اي علي اهدافهم. المؤمن يحشر علي وجه الاخره و هي الجنة و الرضوان، و الكافر يحشر علي وجهه الدنيا و هي المال و الثروه. و يعرّف الكافر ايضا في اية اخري في سورة الملك يقول: أفمن يمشي مكبا علي وجهه اهدي... يشبّه طالب الدنيا برجل يمشي علي بطنه مكبا علي وجهه، لا يري شيئا الا ما يري بهذه الحاله، كمثل الحيّاة و الديدان. لا يري و لا ينظر الا بعينه واحدا. لا يري يمينا و شمالا و لا يري فوقه و تحته الا ما يواجهه بعينه. و يشبّه الله تعالي المومن الذي يومن بالله و اليوم الاخر و يري دنياه في اخرته و اخرته في دنياه، يقول: يمشي سويا علي صراط مستقيم... فيشبهه بمن يمشي علي جادة واضحة يري ما في جهات السته، يري كل شيئ في مكانه. فايهما اهدي؟ الذي يمشي مكبا علي وجهه ام الذي يمشي علي صراط مستقيم؟ و هذا معني قوله تعالي، يعرّف الكفار بانهم يحشرون علي وجوههم. و اما الحشر بكلمة(الي ).

فتري كلمة( نحشر )يتعدي تارة به( علي ) و تارة به( الي )يقول: يحشرون علي وجوههم الي جهنم. فتعقٌل بعقلك هذا ما يستهدفه الكافر و طريقا يسلك به الي هدف. تري الكفار مكبٌين محشورين علي اهدافهم و سالكين طريقا ينالون به ما يستهدفون. فاهدافهم الدنيا من المال و الثروة و القدره و ساير ما به حياتهم و بقائهم. فهم محشورون علي هذه الاهداف مكبين عليه. و اخر ما يطلبونه لينالوا به عيشهم في الدنيا هي القوي الناريه. يتجهزون بهذه القوي ليتسلطوا بها علي الضعفاء، يحكمون عليهم و يسترقٌونهم في مقاصدهم كما يقول الله تعالي في سورة الطور: يسئلونك ايان يوم الدين يوم هم علي النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون... فتريهم مفتونين علي تلك القوي الناريه ييستخرجونها من مكائنها ليتسلطوا علي الناس، يُحرقون بها عباد الله، يُخربون بها بلادهم. فهم علي ذلك الي ان ملئت الارض بهم جورا و ظلما و يقوم القائم( ع ). حينئذ يرجع بهذه النيران اليهم فيعذبونهم بها كما عذّبوا بها عباد الله قبل ظهور القائم ( ع ). فاذا رايتهم علي اهدافهم و هي الحياة الدنيا من مطاعمها و ملابسها و شهواتها. تريهم محشورون عليه او مكبون عليه كالسباع الضاريات علي فريستهم او كالانعام السائمه علي مرعاتهم و معلفهم، ثم اذا رايتهم سالكين طريقا ينالون بها مقاصدهم الدنياويه، تريهم متحركين الي نار جهنم .

فاخبر الله تعالي حشرهم تارة به( علي ) و قال يُحشرون علي وجوههم.. و تارة به( الي )و قال يحشرون الي نار جهنم.. ثم يقول: اولئك شر مكانا و اضل سبيلا... فشر مكانتهم انهم يعذبون عباد الله بهذه النيران الموقده، و ضلالتهم بانهم ضلوا طريق حياتهم يظنون انهم سالكون الي ما به حياتهم، و لا يدرون انهم سالكون الي ما به هلاكهم و عذابهم في الدنيا و الاخره. فمن ضل الطريق الي عذاب جهنم اضل سبيلا ممن ضل الطريق الي فراق النعمه او الهلاك و الفناء. ثم يحكي تبارك و تعالي ما فعل ببعض الانبياء و اممهم فقال:

الایه،35- 36- و لقد اتينا موسي الكتاب و جعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذّبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا… يكرر الله تعالي ما فعل بموسي و قومه في اي كثير في القران لان فيما حدث لموسي و قومه ايات و معجزات لم يحدث لغيره من الانبياء.

فيحكي في كل سورة نبذة مما حدث له و لامّته ليعتبر به اولوا الابصار كما يقول: ان في قصصهم لعبرة لاولي الالباب… ففي هذين الايتين يذكر رسالة موسي و وزارة ا خيه هارون و ما فعل بفرعون و قومه بعد ان كذّبوا رسالته عليه السلام .

ثم يذكر قوم نوح يقول:

الایه، 37- و قوم نوح لما كذّبوا الرسل اغرقناهم و جعلناهم للناس آية و اعتدنا للظالمين عذابا اليما… فيفرق قوم نوح علي مدار غضبه فرقتين، فرقة اغرقهم بالطوفان و جعلهم للناس اية و فرقة اخري اعتد لهم عذابا اليما. و هذين الفرقتين يميّز بعضها عن بعض في الاخره. و اما في الدنيا يذكرهم خاصا بعد عام. يذكر العموم بانه اغرقهم و يذكر قوما منهم من الظالمين بانه اعتد لهم عذابا اليما. فان كان المغرقون كلهم ظالمين لم يذكر خاصا بعد عام بقوله: اعتدنا للظالمين عذابا اليما…

فيذكّرنا في هذه الايه بان قوما منهم كفروا و ظلموا و قوما منهم كفروا و لم يظلموا، و هذا داب الناس في الحياة الدنيا، ينقلب بعض من الكافرين رؤساء حكماء و يستضعفون اكثر الناس، يتسلطون عليهم يستخدمونهم في مقاصدهم. فان اطاعوهم تركوهم في عيشهم و حياتهم و ان خالفوهم قتلوهم. فهؤلاء ا لرؤساء ا لذين يخالفون الانبياء و يستضعفون اكثر الناس يسترقّونهم في مقاصدهم، هم الظالمون. يعتد لهم عذابا اليما في الاخره. و المستضعفون منهم الذين اتبعوا هؤلاء بغير علم اوكانوا لايستطيعون حيلة و لايهتدون سبيلا، فانهم و ان كانوا مستحقين للهلاك و الدمار من حيث انهم جاهلون لا يطيعون الانبياء ولكنهم لا يستحقون العذاب الاليم في الاخره. لانهم كانوا من المستضعفين في الدنيا ارقاء في اطاعة الرؤساء، لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا. فاولئك عسي الله ان يعفو عنهم بعد ما يستيقظوا و يفهموا في الحياة الاخره. و نري في بعض الايات ان الله تعالي يخصّ العذاب الاليم في الاخره بهؤلاء الرؤساء و الحكماء المتسلطين علي الضعفاء. يقول في سورة مريم: ثم لننزعنّ من كل شيعة ايّهم اشدّ علي الرحمن عتيّا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولي بها صليّا… يقول ننزع من كل شيعة ايهم اكثر عدوانا لاهل الحق و اشد عتوّا لمحاربة الانبياء فيجعلهم اولي بالنار صليّا يوم القيامه.

فانظر الي معاويه و عمرو عاص و بعضا اخري من امثالهم الذين جمعوا الجمع من الغواة، فتنوهم عن دين الله، زيّنوا الباطل عندهم بصورة الحق و الحق بصورة الباطل، فتنوهم عن ولاية علي ابن ابيطالب الي ولاية ال مروان. فشبّهوا عليهم بالتبليغ و التذكار و بالتخويف و التطميع بان عليا قتل عثمان خليفة رسول الله فهو خارج عن دين الله بما قتل خليفة رسول الله، و علّموهم بان معاويه مسلم مومن امير المومنين حيث يدافع عن خليفة رسول الله و يحارب قاتليهم. فخدعوا الناس بتلك التمويهات و التبليغات عن ولاية الحق، جرّوهم الي ولاية اعداء الله. فما يفعل الله تبارك و تعالي بهؤلاء المستضعفين و المغرورين المفتونين المخدوعين عن ولاية ولي الله الي ولاية عدو الله، لم يعرفوا الحق و اهله و الباطل و اهله، ظنوا بما تشبّهوا عليهم اهل الباطل حقا و اهل الحق باطلا. فقاتلوا اولياء الله ظنا منهم انهم يحاربون اعداء الله، كما حكي عن الامام جعفر ابن محمد عليه السلام، يحكي عن قتلة الحسين عليه السلام و اصحابه يقول: اجتمع عليه زهاء ثلاثين رجلا كلهم يتقربون بدمه الي الله ؟

فيقال كيف يمكن لقاتلي ابن رسول الله سيد شباب اهل الجنه ان يقاتلوه قربة الي الله مع انه لا يتقرب الي الله بالكفر و العصيان؟ فيدل ذلك علي ان رؤساء الزمان و الحكماء منهم شبّهوا علي الناس و خدعوهم، صوّروا لهم الحق بصورة الباطل و الباطل بصورة الحق، فافتتن الناس بهم و فتنوهم عن دين الله، فظنوا بهذه التمويهات و التسويلات بان الحسين( ع )و اصحابه علي الباطل و ان يزيد و ابن مرجانه علي الحق. فقاتلوا الحسين( ع )ظنا منهم انهم يجاهدون في سبيل الله اعداء الله. فيتقربون بدمه الي الله. فيوم القيامه ينزع الله تبارك و تعالي الرؤساء من بني اميه و من عرفهم بانهم علي الباطل فعاونوهم و اُحكموا لهم قواعد امارتهم و حكومتهم لحطام الدنيا و كانوا يعلمون انهم علي الباطل و ان عليا( ع )علي الحق، فيخلّدهم في نار جهنم و يعفو عن هؤلاء المستضعفين. فهذا معني قوله تعالي. يخصّ العذاب للظالمين من الكافرين فيقول: لما كذبوا الرسل اغرقناهم..

فالعذاب الدنيا يعمّ جميعهم من المكذبين الظالمين فاغرقهم تبارك و تعالي بالطوفان و خص العذاب الاليم للظالمين منهم. و يقول في اية اخري: بلي من كسب سيئة و احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون...

فانظر الي البراهين الثلاثة من الايات الثلاثه لتعلم ان عذاب النار لا يعم جميع الكافرين من الضالين و المكذبين. الاية الاولي في سورة الحمد حيث يقول: غير المغضوب عليهم و لا الضالين.. فالمغضوبين عليهم هم الذين يعذَبون يوم القيامه و يخلدون في النار. فان كانت الضالون هم المغضوبين عليهم لم يفرّدهم الله بالذكر بل يعم الجميع بقوله( غير المغضوبين عليهم ). فجعل الناس ثلاثة فِرَق. المنعمين عليهم و المغضوبين عليهم و الضالين منهم. و الاية الثانيه، الايات في سورة مريم حيث يقول: ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد علي الرحمن عتيا... فينزع من كل شيعة و امة اشد عتوا منهم علي الله تعالي، و هؤلاء الاشدون عتوا هم الذين احاطت بهم خطيئتهم فلم يبق في قلوبهم من الايمان ذرة مثقال. و في هذه الايه في قصة نوح كمثل هذين الايتين يخص اعتداء العذاب الاليم بالظالمين. فالمستضعفون من الضالين او الكافرين غير المعتدين من الظالمين. الظالمون هم المغضوبين عليهم و الضالون هم المستضعفون .

ثم يذكر الله تعالي قوم عاد و ثمود و اصحاب الرس و قرونا اخري امثالهم. اهلكهم الله تعالي بما كذّبوا انبياء الله و رسله. يذكر قصصهم ليعتبر بها المعتبرون كما يقول: و انّ في قصصهم لعبرة لاولي الالباب.. فيقول:

الایه، 37- 38- و عادا و ثمود و اصحاب الرس و قرونا بین ذلک کثیرا و كلا ضربنا له الامثال و کلا تبرنا تتبیرا... يعني بذلك انه تعالي ضرب الامثال لكل هؤلاء الامم الماضيه في القرون الخاليه لئلا يهلكوا بلا بينة و برهان كما يقول: و ان من قرية الا خلا فيها نذير.. او يقول: و لله الحجة البالغه... او يقول: ليحيي من حي عن بينه و يهلك من هلك عن بينه… فضرب لهؤلاء الامم في القرون الخاليه امثالا مما مضي عليهم من الازمنه. فجعل قوم نوح مثلا لقوم عاد فقال لهم ان كذبتم انبياء الله تهلكون كما اهلك الله قوم نوح، و جعل هلاك قوم عاد مثلا لقوم ثمود و مثلا لقوم لوط و غيرهم من الامم الكافره. فاحتج الله عليهم بهذه الامثال و القصص ثم دمرهم تدميرا لما لم يتعظوا بتلك القصص و المواعظ.

ثم يقول، يذكر قوم لوط بقوله:

الایه، 40- و لقد اتوا( هؤلاء الاعراب و كفرة قريش )علي القرية التي امطرت مطر السوء أفلم یکونوا یرونها بل کانوا لا یرجون نشورا... و هي قري قوم لوط، فاهلكهم الله تعالي بالزلزال، جعل عاليها سافلها. و هذه القري في طريق الاعراب و قريش في رحلتهم الصيف كما يقول الله تعالي: ايلافهم رحلة الشتاء و الصيف... كانوا يرتحلون بالصيف الي الشام للتجارة و في الشتاء الي اليمن. فكان في طريقهم القري التي كان فيها قوم لوط، فامطر الله تعالي عليهم مطر السوء. فيقول لهؤلاء الاعراب أفلا ترون هذه القري المهلكة المخروبه؟ فلم لا يتعظون بها و يعتبرون؟ فيقول هؤلاء ايضا كقوم عاد و ثمود لا يرجون نشورا و بعثا يوم القيامه. فمن لم يؤمن بالله و اليوم الاخر و لم يتعظ بوعظ و لم يهتد بهداية الله و هداية اولياء الله فهو من المعذبين. فيذكر في اخر الايه بان الذين لا يعتبرون بهذه القصص و لا يتّعظون بها لا يرجون نشورا و لا يؤمنون بالاخره و لا يعتقدون قول الله تعالي بانه يبعثهم يوم القيامه و يجازيهم علي اعمالهم. فمن انكر الله و انكر الاخره لم يعمل عملا صالحا لان الاعمال الصالحه ان كان من نوع العبادات فهي لا يفيد الا في الاخره، و لم يعدِ الله تعالي احدا بانه ان صلّي و صام و حج و زكي زكاته ان الله يرزقه كثيرا في الدنيا، و ان لم يعمل الصالحات لا يرزقه، بل الله تعالي وعد المومنين في الاخره لا في الدنيا، و قال: انما توفون اجوركم يوم القيامه... فاتي به كلمة الحصر و هي كلمة( انما )، لئلا ينتظر من عمل صالحا ان يرزقه الله تعالي في الدنيا رزقا واسعا او يرفع عنه البلايا و المنايا، بل وعد المومن العامل بالصالحات الجنة في الاخره. و كذلك ان كان العمل الصالح من نوع الخدمات كصلة الرحم و ايتاء ذوي القربي و المساكين و غيرهم فهي ايضا مثل العبادات. وعد الله تعالي من عمل هذه الاعمال اجر الاخره الا ان يكون خدماته و انفاقاته رياء و سمعه و لا يومن بالله و اليوم الاخر و لعل الله تعالي يؤتيه اجره في الدنيا.

فعلي ذلك من لم يومن بالله و اليوم الاخر و لا يرجو نشورا و لا حسابا يوم القيامه لا يقدر ان يعمل عملا يؤجر عليه في الاخره. و لذلك يترك هؤلاء الكافرون العبادات و الصلوات و الدعوات كلها. لا يسجدون و لا يركعون و لا يتضرعون الي ربهم، و ان كانوا يصلون الرحم او يوتون الفقراء و الضعفاء او يعمرون بلادهم و امثال ذلك انما هي لاجل الحياة الدنيا. فيؤجرهم الله تعالي علي هذه الاعمال في الدنيا لئلا يدّعوا ان لهم حقا علي الله تعالي في الاخره. و لذلك قيل بان عمرو عاص عليه اللعنه مدح عليا و الائمه علیهم السلام من ولده باشعار، قال في اوله:

بِآل محمد عُرف الصواب و في ابياتهم نزل الكتاب...

انشد اثني عشر شعرا يمدح بها عليا و اهل بيته. فدعاه الامام الحسن المجتبي عليه السلام فاعطاه اثني عشر الف دينار. فلما قيل له في ذلك اجاب عليه السلام باني اردت ان لا يكون له علينا حقا في الاخره بما انشد هذه الاشعار فاعطيته حقه في الدنيا. فاخذ الدنانير و لم يقل انما اردت الاخره. و هكذا قال الفرزدق اشعارا يمدح علي ابن الحسين زين العابدين( ع )بقوله:

هذا الذي يعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحل و الحرم…

فحبسه عبدالملك المروان بما مدح علي ابن الحسين( ع )فارسل اليه الامام علیه السلام دنانير كثيرة فلم يقبل و قال انما اردت رضي الله تعالي و اجر الاخره. فارسل اليه الامام الدنانير ثانيه و قال: خذ هذا نفقة عيالك، و اجرك محفوظا في الاخره. فقايس هذين المادحين، عمرو عاص و الفرزدق. تري احدهما اخذ الدنانير بشوق و اشتياق اذ نال بكل شعر الف دينار، و اما الاخر فلم ياخذ و قال اردت الاخره، حتي ارسل اليه الامام ثانيا و وعده الاخره.

فالكافرون ان عملوا عملا صالحا كتعمير البلاد و اصلاح الطرق مما يعم منافعه للبشريه انما يفعلون هذا لمنافعهم الدنياويه لانهم لا يومنون بالله حتي يعملوا للاخره و يرجوا حسابا و نشورا. و لذلك يقول الله تعالي: بل كانوا لا يرجون نشورا… و یقول:

الایه، 41- 42- و اذا راوك ان يتخذونك الا هزوا( و يقولون )أهذا الذي بعث الله رسولا ان کاد لیضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها و سوف یعلمون حین یرون العذاب من أضل سبیلا... فيقول تعالي سوف يعلمون حين يرون العذاب في الاخره من اضل سبيلا حادّا عن طريق الحق. ء أنتم المومنون الذين تعملون لله و للاخره اضل ام هؤلاء الكافرون الذين يهزئون بكم و بايمانكم و يقولون أهذا الذي بعثه الله رسولا؟ فيقول تعالي انهم سَيرون في الاخره من اضل سبيلا من هذين الفرقتين؟ من يتبع الرسول او من يخالفه. ثم يقول: الایه، 43- أرايت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا؟

فيظهر التعجب في هذه الاية الشريفه من شيئين العجيبين. الاولي من اتخذ الهه هواه و الثانيه ان يكون النبي او الولي وكيلا مدافعا عنه. فيظهر الله تعالي التعجب ممن يتخد الاهه هواه و يعمل علي هوي نفسه و يترك اطاعة ربه، و الله تعالي يري ضعف نفسه عن الاعمال التي ينفعه في الدنيا و الاخره و يري ضعف نفسه عن اكتساب الارزاق من المال و الثروه التي ينفعه في الدنيا و الاخره و يري كثرة جهله عن المسائل و الامور. لا يعلم كيف يقول و كيف يعمل و كيف يطهّر نفسه و يزيّن اخلاقه و كيف يعاشر ولده و اهل بيته، مع ذلك يدَع امر الولي العظيم و هو الله تعالي وراء ظهره و يتبع هوي نفسه؟ فهو كصبي يدع امه و اباه و يخرج من بيت اهله الي الفلوات و البراري فينقلب طعمة للذئاب و السباع. فيظهر الله التعجب من هذا الجاهل الذي يخرج عن ولاية الله و يتبع هوي نفسه و هو يعلم يقينا فينقلب هالكا مهلكا.

ثم يظهر التعجب ثانيا بان النبي صلي الله عليه و اله يريد ان يكون وكيلا عليه يدافع عنه و يشفعه، ياخذ بيده الي الجنه. فيقول الله تعالي له كيف يمكن لك و لامثالك ان يكونوا وكلاء عن هؤلاء السفهاء الذين يتخذون الاههم هواهم فيضلون عن الطريق يمينا و شمالا، يسرعون باعمالهم و ارائهم الي نار جهنم. فهل يمكنك ان تدافع عن رجل او امرأة يهلك نفسها؟ انما تدافع عن الذين امنوا و عملوا الصالحات، الذين تركوا بعض الاوامر و عملوا بالنواهي بقصورهم فياذن الله تعالي لك ان تدافع عنهم و تشفع لهم الي الجنه. و اما الذين يكفرون بالله تعالي و يعملون الظلم و العدوان و يعصون ربهم بهوي انفسهم فينقلبون في التيه و الضلاله، يعملون السيئات حتي اذا احاطت بهم خطيئتهم، كيف يمكن للنبي ان يكون وكيلا عليه يدافع عنه؟ فهو لابد ان يدخل النار خالدين فيها. انما يدافع عن الذي يعرف و يطلب المدافع .

و ذلك لان الله تعالي او رسوله انما يدافعون عن الحقوق الذي يطلبه الانسان فلا يجده لضعف نفسه او عقله. كمن يطلب رزقا فلا يقدر عليه او ملبسا او مسكنا، فيدافع الله تعالي عنه، يهيئ له ما يطلبه فيخلق له الارزاق من الحبوبات و الثمرات. يجعله بمرأي و منظر منه ليطلبه و ياكله. و هكذا يدافع تعالي عن انسان يطلب مالا و علما و مقاما و شرفا و وجاهة يطلبه فلا يجده فيهيئ الله تعالي له. و لذلك قيل من شرايط حرمة الغيبه ان لا يتظاهر المغتاب بالكفر و العصيان. فاذا تظاهر بالعصيان فعمل المعاصي بمراي و منظر من الناس، لا يطلب لنفسه عزا و شرفا و مكانة فيجوز غيبته لمن يغتابه او يسمع غيبته. لانه لا يطلب عزة فيدفع الله تعالي عنه و ينهي المغتاب عن غيبته. كذلك تري رجلا لا يطلب لنفسه رزقا و هو يقدر عليه و الرزق بمراي و منظر منه يجده بادني طلب و حركه. فلا يدافع الله عنه و ان مات جوعانا و عطشانا. لانه لا يطلب حقه. فالذي يتخذ الاهه هواه لا يطلب ولاية الله تعالي لنفسه و لا يعتني بشأن ربوبيته. لا يعبده و لايدع دعاء بل يتبع هوي نفسه. فهو لا يؤمن و لا يطلب الايمان. فكيف يمكن لله او لرسوله ان يدافعان عن حقه الايمان فيدخلانه في الجنه؟ لانه بمنزلة من لا يطلب العز و الشرف فيتظاهر بالاثم و العدوان فلا يجوز لاحد ان يدفع عن عزه و شرفه و يجوز غيبته لكل احد قائلا او مستمعا.

و لذلك يتعجب الله تعالي في هذه الايه ان يكون الرسول عليه وكيلا. فيقول أفانت تكون عليه وكيلا، تشفعه فيقبل الله تعالي شفاعتك، تطلب له ما لا يطلبه؟ تريد له الجنه و لا يريدها او ترجع به عن النار و هو يطلب النار لنفسه؟ فذرهم ياكلوا و يتمتعوا حتي يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون. ثم يقول الله تعالي:

الایه 44- ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا… فكيف تُسمع حقا لمن لا يسمعه و هو يقدر علي استماعه؟ ا و كيف تنتظر ان يطلب الحق من لا يريد ان يعقله؟ فهؤلاء الذين لا يسمعون الحق و لا يعقلون و هم يقدرون ان يتعقلونه و يسمعونه فهم بمنزلة الانعام. هل يجوز لك ان تدع الانعام الي ربهم تامرهم ان يقولوا ( لااله الاالله )او تدعوهم الي الجنه في ظل اطاعة الله؟ بل الانعام لا يفقهون و لا يسمعون. فهم من حيث انهم لا يريدون ان يسمعوا او يعقلوا بمنزلة الانعام بل هم اضل سبيلا.

و الاضلية من هؤلاء الكفرة الجهله من حيث انهم يقدرون ان يطلبوا الهداية فلا يطلبونها و يقدرون ان يكونوا انسانا مومنا فلا يطلبون الايمان و يقدرون ان يكتسبوا العزة و الشرف فلا يكتسبون و غير ذلك من نعم الله تعالي. و هم يقدرون ان يتركوا طريق جهنم فلا يعذبون. بل هم في طريق جهنم يكتسبون النار فيعذبون بها انفسهم. فهم اضل من الانعام اذا الانعام لا يعذَبون، و هم معذَبون. و كذلك الانعام لا يستحسرون و لا تاخذهم الحسره علي ما تركوا نعم الله تعالي الموجودة لهم، و هم يستحسرون يوم القيامه. ياخذهم همّ و غمّ شديد بما تركوا الحق وراء ظهورهم و اقبلوا علي نار جهنم خالدين فيها. فهم اضل سبيلا من الانعام اذ الانعام يموتون و لا يعذبون و لا يحشرون يوم القيامه للحساب و هم يحشرون. فيعذبون بما عملوا في الحياة الدنيا من الظلم و العصيان. فهم اضل سبيلا من الانعام .

ثم يذكر لنا ربنا في ايتين الخمسة و الاربعين و الستة و الاربعين علما عجيبا في كيفية تمديد الاشياء و تربيتهم الي ان ابلغهم الكمال. و هذه الاية من اعجب الايات عميقا في بيان حقيقة خلق الانسان و غيرها من الجمادات و النباتات و الحيوانات. يقول:

الایه، 45- 46- ألم ترالي ربك كيف مد الظل و لو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا. ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا... و مواقع البحث في هذين الايتين ثلاثه:

الاولي ما هي الظل في هذه الايه و امثالها كما يقول في اية اخري: و لله يسجد من في السماوات و الارض طوعا و كرها و ظلالهم بالغدوّ و الاصال...

الثانيه في قوله تعالي: و لو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا... ما هي سكون الظل و دلالة الشمس عليه؟

الثالث قوله تعالي: ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا… فما معني قبض اليسير؟

فنقول في تبيين هذه الموارد الثلاثه في هذه الاية الشريفه: الظل في اللغه و في الاصطلاح يطلق علي ظلمة حدث قبال حجب النور. انك اذا وقفت قبال الشمس تحجب بمقدار حجم بدنك شعاع الشمس علي جانبك الاخري. فاذا تطلع الشمس علي يمينك تظهر علي يسارك الظلمه، تسمي ظلا. فالظل يحدث في شيئ يحجب عنه شعاع الشمس، و في الواقع هي عدم النور لا بمعني شيئ اخري يسمي ظلا. تقول الفلاسفه في بيان حقيقة الظلمة و النور الظلمة عدم النور و ليس بشيئ اخري مستقلا في وجوده. فاذا ظهر النور ظهر الضياء و اذا خفي النور ظهرت الظلمه. فالظلمة بمعني عدم النور لا انها شيئ وجودي ضد النور. فاذا كانت الظلمة شيئا وجوديا ضد النور لكان في وجوده مستقلا ثابتا، ظهر عليها النور ام لم يظهر. فانك تري الظلمة شاملة ثابتة في الفضاء و الهواء و اذا طلعت الشمس ذهبت الظلمه و اذا غربت ظهرت. فان كانت الظلمه شيئا مستقلا فاين هو اذا طلعت الشمس و اين هو اذا غربت؟ فانك تري النور و عدمها. فاذا رايت النور تستضيئ به و اذا لم يكن تقع في الظلمه. فالظلمه انما يظهر من عدم وجود النور لا انها شيئ مستقل في وجوده، و الظل هي الظلمه. اذا حجبت النور عن شيئ تظهر لك الظلمه، يسمي ظلا. فالظل و الظلمه شيئ واحد و هما عدم النور. الظلمة و النور نقيضان و هكذا لكل شيئ نقيض و نقيض كل شيئ عدم هذا الشيئ، لا شيئ اخري يضاده. كذلك يفرض لكل وجود عدم. تقول: وجود الشيئ و عدمه. وجود زيد و عدمه. او تقول كان و لا يكون، قام و لم يقم، ضرب و لم يضرب. فلكل مثبت منفي و لكل منفي مثبت. المثبت شيئ ثابت و منفيها عدمه. فزيد شيئ ثابت و عدم زيد لا يكون شيئ غير زيد. فالنقيضان شيئ واحد في نفي و اثبات. و بتعبير اخري يقال لكل شيئ ضد و نقيض. فالضدان شيئان وجوديان لا يجتمعان في مكان واحد كالالوان. تقول هذا ابيض و هذا اسود. فان كان ابيض لا يكون الاسود و بالعكس. فلا تجتمع الابيض و الاسود في مكان واحد لانهما شيئان وجوديان متزاحمان. ولكن النقيضان شيئ واحد في حالتين، وجودي و عدمي. تقول زيد موجود و عدمه غير موجود.

فنقيض كل شيئ عدمه و لا يكون شيئا وجوديا. فزيد شيئ و عدمه لا شيئ. ولكن الضدان شيئان وجوديان لا يجتمعان في مقام واحد. فلكل شيئ في العالم ضد و نقيض. ضده شيئ وجودي يزاحمه و يعارضه، لا يجتمع معه في مكان واحد و نقيضه عدمه، يكون معه في مقام واحد.

و قيل النقيضان لايجتمعان. فلايقال زيد موجود الان و هو غير موجود الان. فلا يجتمع وجود زيد و عدمه، و يمنع اجتماع مفهوم وجود و عدمه. فالوجود يطرد العدم و العدم يطرد الوجود في الخارج. و لا يمتنع اجتماع مفهومي المثبت و المنفي. فتقول كان الشيئ و لم يكن هذا الشيئ. لان العدم لا يكون شيئا وجوديا فيزاحمه الوجود. انما هي مفهوم عدم هذا الموجود او نفي هذا المثبت. فيطلق علي كل شيئ وجوده و عدم وجوده مفهوما. فمعني قولهم: النقيضان لايجتمعان، اذا كانا شيئان وجوديان .

و قيل في هذا المعني ان الله تعالي لا يقدر علي جمع النقيضين ان يوجد زيد و عدمه بحيث يكون زيد موجودا علي حين انه لا يكون موجودا. فهل يقدر الله تعالي ان يجمع وجود شيئ و عدمه؟ فنقول ان كان العدم شيئا وجوديا في الخارج او في الذهن لا يمكن ان يجتمع شيئ و عدمه. فلا يجتمع وجود الخارجي او مفهومها الوجود العيني. و لكن العدم لا شيئ. او يقال: لا شيئ مفروض فيفرض كل شيئ و عدمه او يفرض كل شيئ و لا شيئ. و لذلك قالت الفلاسفة بالعدم الازلي مع الوجود الازلي. فالوجود الازلي هو الله تعالي و العدم الازلي عدمه تعالي، مفهوما لا خارجا. فاجتمع هذا العدم الازلي مع وجود الازلي. هذا اذا قلنا بان العدم مفهوم ذهني او مفروض. فيفرض مع الوجود الازلي و هو الله تعالي عدم وجوده، و هي عدم وجود الله تعالي مفهوما او مفروضا. فنقول وجود الله تعالي واجب ازلًا و ابداً، و عدمه ممتنع ازلاً و ابدا. فاجتمع عدم الازلي مع الوجود الازلي. و اذا قلنا بان العدم فرع الوجود، فيتأخر عن الوجود كما يتاخر الفرع عن الاصل. فاذا قلنا بان وجود الله ازلي قديم فعدم وجوده يتفرع علي وجوده. تفرّع الفرع علي الاصل فيتاخر عن الوجود الازلي تاخرا رتبيا، كما يتاخر الحرارة عن النار او الضياء عن الشمس. او نقول يتاخر عدم وجود الله تعالي عن الله تعالي تاخرا زمانيا حادثا. لان هذا العدم اِما مفروض فرضه الله او فرضه الانسان و كلاهما حادث بحدوث زماني. لانه لم يكن ففرضه الله او خلقه. فكلاهما مفروض مجعول. لانه يجب ان يكون الوجود اولا فيفرض عدمه ثانيا، و لو لم يكن الوجود لم يفرض العدم. فاذا فرضنا بانه لم يكن الله او لم يكن الوجود الازلي، فلم يفرض عدم الوجود الازلي. لان العدم فرع الوجود. و هذا قول مولانا امير المومنين( ع ) حيث انه لا يقول بالعدم الازلي بل يجعل العدم فرع الوجود، متأخرا عنه. فيقول عليه السلام في وصف قدم الله تعالي: سبق الاوقات كونه و العدم وجوده… فيقول بسبق وجود الله تعالي علي العدم و الزمان. لان العدم و الزمان كلاهما لم يكونا في الخارج و لا في الذهن. انما يفرضان مع الوجود. فاذا فرضت وجود الله تعالي فرضت معه زمان وجوده و عدم وجوده لانهما لم يكونا شيئا فيكونان مخلوقان. بل هما وجودان اعتباريان يعتبر مع الوجود فيتاخر عن الوجود. فاذا فرضت وجودا و هو وجود الله تعالي فرضت معه زمان وجوده و عدم وجوده، فيسبق وجوده تعالي علي الزمان و العدم. لانهما يفرضان و يعتبران مع الوجود فيتأخران عنه تأخرا رتبيا او زمانيا كما قلنا. فلا يمكنك ان تقدر للعدم زمانا او تقدر للزمان زمانا. لانهما في انفسهما لا شيئ. لا يتعلق قدرة الله تعالي الا بالشيئ. فاذا فرضت شيئا يمكنك ان تفرض عدمه، و فرض العدم غير الاعدام. فاذا قلت اوجد الله تعالي شيئا في زمان اعدامه يمكن ان يقال بان هذا بمعني اجتماع النقيضين اذ الايجاد شيئ عمل يعمله العامل. و الاعدام ايضا عمل يعمله العامل. فلا يجتمعان في زمان واحد علي شيئ واحد. فان الله تعالي يقدر ان يوجد شيئا ثم يعدمه في آن بعد ايجاده. و لا يتعلق قدرته بالايجاد و الاعدام لشيئ واحد في زمان واحد. لانهما فعلان متباينان لا يجتمعان. و لكن العدم غير الاعدام، و كذلك الوجود غير الايجاد. فاذا فرضت شيئا حادثا كمثل الممكنات او قديما كمثل وجود الله تعالي يجوز لك ان تفرض له عدمه. تقول وجود الله و عدمه او وجود شيئ و عدمه. لان مفهوم العدم فرع الوجود. يتفرع عليه و يجتمعان اجتماع الفرع و الاصل. فرضت وجود الله ثم فرضت عدمه، و سبق وجوده تعالي علي هذا العدم المفروض. او فرضت وجود زيد ثم فرضت عدمه. سبق وجود زيد علي عدمه المفروض لِسَبق الاصل علي الفرع. فالوجود و العدم ليستا بنقيضين ان يقال لا يقدر الله تعالي علي اجتماع النقيضين. يخلق الله شيئا فيكون موجودا فيفرض معه عدمه. لان العدم في فرضه لا شيئ، و اللاشيئ لا يكون فعلا مخلوقا يتعلق قدرة الله تعالي به. فلا يقال ان الله تعالي خلق العدم او خلق الاَعدام، و يقال انه تعالي خلق الوجود و الموجودات. فكل وجود يفرض معه عدمه. ولكن الايجاد و الاعدام من حيث انهما فعلان متباينان في آن واحد علي شيئ واحد يمكن ان يقال بانهما نقيضان، و النقيضان لا يجتمعان. فلا يتعلق قدرة الله تعالي بايجاد شيئ و اعدامه في آن و زمان واحد.

و لذلك اثبت مولانا علي( ع )العدم و الوقت مع الوجود فقال: سبق الاوقات كونه و العدم وجوده… فيلزم وجود و وقت يسبق وجوده تعالي عليه او عدم يسبق وجوده تعالي عليه. فثبت في قوله( ع )اجتماع الوجود و العدم بكيفية اجتماع الفرع مع الاصل. فانكر عليه السلام العدم الازلي حين اثبت وجود الازلي اذ العدم انما هي فرض اعتباري لا شيئ في حقيقته. يفرض مع الوجود و يتفرع عليه تفرّع الفرع علي الاصل. فيقال ردا علي من اثبت عدم الازلي كيف يجتمع وجود الازلي مع عدم الازلي. أليس هذا اجتماع النقيضين؟ الاّ ان يكون العدم هناك فرع علي وجود الله تعالي فيفرض مع وجوده تعالي عدم وجوده لا عدم المطلق مع وجود المطلق. و عدم وجود الله تعالي او وجود كل شيئ فرع يتفرع علي الوجود، لا يمتنع فرضه مع الوجود. و لو كان فرض العدم ممتنعا علي الوجود لم يقل مولانا علي( ع )سبق الاوقات و العدم وجود الله تعالي. فاثبت عليه السلام مع وجوده تعالي عدما و وقتا و ليس هذا بمعني اجتماع النقيضين بل هي صفة منفي عن الوجود، كما تقول زيد قائم و ليس بقاعد، فتنفي القعود عن القيام الموجود لا عدم المطلق. و عدم المطلق غير مفروض و غير قابل للفرض لان العدم في ذاته ليس موجودا فيفرضه الله تبارك و تعالي و تقول يفرض الله العدم مع وجوده فالعدم ازلي كوجوده. فنقول هذا يمكن اذا كان العدم شيئا موجودا يفرض علي عدم وجود الله، و ليس هو شيئ مفروض بل عدم كاسمه و لايفرض العدم المطلق ابدا الا ان يكون هناك شيئ موجودا فيتفرع عليه مفهوم العدم.

و خلاصة البحث انّ مفهوم الزمان و العدم نقيضان للشيئ الموجود لا انهما شيئان مستقلان. فاذا حدث شيئ يفرض معه الزمان و العدم. فمفهومان الزمان و العدم يتفرعان علي الشيئ الحادث. و كذلك مفهوم العدم علي الشيئ القديم. فاذا كان الله تعالي و يفرض العدم علي وجوده يكون هذا العدم فرضا. فكل عدم فرع علي الوجود و الفرع متاخر عن الاصل. فيسبق وجود الله تعالي علي العدم و الزمان كما يقول مولانا علي عليه السلام .

فنرجع الي معني الظل في الاية الشريفه. فاذا كان الظل في هذه الايه و غيرها بمعني عدم النور، كيف يمدّه الله تعالي و انّ العدم لا يقبل الامتداد. ان الامتداد يعرض علي شيئ وجودي لا علي شيئ عدمي. فكيف يمد الله تعالي الظل او يجعل الشمس عليه دليلا، و الدليل و المدلول كلاهما شيئان وجوديان. فلو كان الظل في هذه الاية الشريفة بمعني عدم النور لا يدل عليه الشمس و لا يقبل الامتداد، كما يقول الله تعالي: ألم تر الي ربك كيف مد الظل…. و يخبر في غير واحد من الايات بان الظل و الظلمه شيئان وجوديان. يخبر في هذه الاية عن امتداد الظل و في اية اخري في سورة الانعام عن جعل الظلمات. يقول: و جعل الظلمات و النور…. و في اية اخري عن تسبيح الظل و سجدته. يقول: يتفيئ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّدا….

ففي كل هذه الايات يخبر الله تعالي عن صفة شيئ وجودي يمده او يجعله او يحمله علي التسبيح و السجود. فكيف يسجد او يسبح العدم ام كيف يجعل العدم و يمد الي ما يريد الله تعالي او يكون مدلولا للشمس ؟

فنقول الظل و الظلمة شيئ وجودي مجعول خلقه الله تبارك و تعالي و هي الماده قبال النور. فالمادة في ذاتها ظلمة اذ يكون ظلمانيا يستضيئ بالنور. فاذا لم يكن المادة قبال النور يستضيئ به لا يظهر ضياء النور بالنور فقط. و كذلك لا يظهر ظلمانية المادة الا بالنور. فلا يكون النور نورا الا بالمادة الظلماني و كذلك لا يظهر المادة ظلمانيا الا بتعلق النور عليه .

فاما سكون الظل بمعني عدم التحرك و الامتداد. و السكون في هذا الموضع بمعني التوقف عن التكامل لا بمعني عدم الحركه. فان الحركات كما نعرف تارة يكون انتقاليا من مكان الي مكان كتحرك الانسان و الحيوان و الكرات و الرياح و غير ذلك، ينتقل من مكان الي مكان. و تارة يكون حركة تكامليا كحركة النطفة الي الجنين و الجنين الي التولد و الصبي الي الشباب و الشباب الي الشيب. او كحركة البذور الي الشجره و الثمره. فكل هذه الحركات حركات تكاملي يعرج الله تعالي بالشيئ الي الكمال. فيظهر بهذه الحركات جمادا او نباتا او شجرا و حيوانا و انسانا و يظهر الشيئ بهذه الحركات شخصا عظيما كمثل الانبياء و الاولياء، يعرف نفسه. فهذه الاشياء و الاشخاص كانت في انتهاء العدم. كان في اول جعله كما يقول الله تبارك و تعالي: جعل الظلمات و النور... ذرةً صغيرة في انتهاء العدم بحيث يكون حجمه علي مقدار حده، لا يتجزي و لا يتبعض و لا يُري و لا يُعرف الا بعلم الله تعالي. فكان الله تعالي هو الذي راي المادة في هذه الحالة التي كانت في انتهاء العدم. فلو تركه بهذه الحاله لم يكن ليُعرف شيئا الا بالعلم، و الشمس في هذا المورد هو علم العلماء و الّا يحجب المادة في صغره هذا بحجاب النور و لا يعرف المادة بالنور الا بعد ان كان حجما عظيما كالجبال و الكرات و الاشجار و الاحجار. فلو كانت المادة في حالته الاوليه و هي ذرة لا يتجزي و لا يتبعض، يكون حده علي مقدار حجمه، لا يري بنور الشمس ايضا كما لا تري الهواء في الفضاء بنور الشمس و نور الشمس يحجبك عن روية الهواء، مع ان الهواء حجم عظيم ملموس محسوس ولكن يحجب بالنور. جعل الله تعالي نور الشمس علي الهواء كالجلد علي البدن و يعبّر عن رفع النور عن الهواء بالسلخ. يقول: و آية لهم الليل نسلخ منه النهار… فالليل في هذه الايه هي الهواء الظلماني جلّده الله تعالي بنور الشمس ثم سلخ نور الشمس عن الهواء. فالهواء و هي الماده، محجوب بنور الشمس مع انه هواء ملموس مرئي. فكيف الذرات في حالته الاولي التي في نهاية الصغر، لا يمكن ان يريه احد من الناس الا ان يكبر حجما علي مقدار بقّة او نمله او بذر و غير ذلك ليريه الانسان. فلا يري الذرات في صغرها، كانت في ظلمه او نور. فلا يكون نور الشمس هذا دليلا علي الذرات و المواد في انتهاء صغرها بل يري و يعرف بالعلم. يعرف العالم بعلمه العالم و ما فيها في ابتداء صغرها و هي مواد يسمي به( ذرات الاثيريه )او في حالة لا يتجزي. فلا يُعرف لو لم يكن معه نور. و كيف يعرف بالنور و النور يحجبه عن الرائي. ولكن العلم و العالم يعرف الاشياء في انتهاء صغرها و كبرها. فالشمس التي يكون دليلا علي المواد قبل امتدادها هي العلم فقط. يعرف العالم بعلمه العالَم و ما فيها علي ما كان و يكون و ما هو كائن .

ثم يقول: ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا… و القبض اليسير الي الله تعالي قبل الامتداد قبض شيئ لا يكون انسانا كاملا، فلا ينقلب من الشيئية الي الشخصيه كما يقبض الله تعالي الحيوانات و الجمادات. فيقبض الله تعالي الحيوانات قبضا يسيرا لا قيمة لها و لا يكون شيئا مهما يعتني احد بشانها، و يقبض الانسان و هو القبض الكثير الثقيل اذ يكون شخصا عظيما عند الله تعالي. و جاء في الحديث: اذا مات العالم ينقص بموته الارض، في قوله تعالي: أو لم يروا أنا ناتي الارض ننقصها من اطرافها… يفسر الامام( ع )هذه الايه بان نقص الارض بموت العالِم لا بنقص الارض في حجمها من جماد و نبات و حيوان. فقبض الحيوان قبض يسير لا يعتني بشأنها و قبض الانسان قبض كبير عظيم يعتني الله تعالي بشانها. و في الاية السبعة و الاربعين يقول:

الایه، 47- و هو الذي چعل لكم الليل لباسا و النوم سباتا و جعل النهار نشورا....

فيذكر تعالي في هذه الايه ثلاثة موضوعات يقول: جعل لكم الليل لباسا، و جعل لكم النوم سباتا، و جعل النهار نشورا. فيذكر للّيل فائدتين و للّنهار فائدة واحده. جعل الليل لباسا ليكون الانسان في حالاته و حركاته مستورا عن الناس، لا يريه احد.ثم جعل هذه الستر سباتا.

و السبت و السبات بمعني السكوت و عدم التحرك الي عمل و فعل يفعله لمعاده و معاشه. فلابد للانسان في عيشه و حياته ان يكون في حالات مختلفات و لا يمكنه او يشقّ عليه ان يكون دائما في حالة واحده، قائما كان او قاعدا او متحركا او ساكنا. بل يجب ان يكون في عيشه و حياته في حالات و حركات مختلفات، يكتسب في كل حالة خيرا لنفسه او ينأي بنفسه عن شر يريده. فجعل للانسان ليلا و نهارا ليكون في ليلته ساكنا صامتا مستورا حالاته و حركاته عن الناس فيكون سبتا سباتا. و السبت بمعني السكون و السكوت عن الحركه. فجعلوا اول اليوم في الاسبوع سبتا ليكون الانسان في هذه اليوم ساكتا ثابتا يستريح. و قالوا ان الله تعالي اقدم علي خلق العالم و العالمين يوم الاحد الي يوم الجمعه فسبت و سكن يوم السبت فسموها سبتا لعدم كون الله تعالي في فعل و عمل او لتركه الاعمال و الافعال في هذا اليوم اما لفراقه عما اراد في خلق السماء و الارض او جعل تعالي يوم السبت سبتا يسبت فيها العالمون.

ثم جعل النهار نشورا، ينشر الناس في الايام ليكتسبوا ما يعيشون في حياتهم. و الليل و النهار من ايات لها ظاهر و باطن، يتبع الباطن الظاهر في معانيه. فالليل في ظاهر الايات هي الليل المعروف، يبدء من غروب الشمس الي فجرها و طلوعها، و في باطن الايات ايام يكون فيها الحجة غائبا او ساكنا منزويّا عن حكومته و ولايته، يبدء هذه الليل من هبوط ادم الي قيام القائم( ع ). جعل الله تبارك و تعالي هذه الليلة الطويلة لباسا للناس، يستر اعمالهم و معاصيهم عن اعين الناس. فيستر الله تعالي اعمالهم السيئه و انه تعالي ستار العيوب. و لو كان اعمال الناس بمرآي و منظر من الناس او من الانبياء و الاولياء و ساير الحجج، لعلهم يستحيون بما كُشف عنهم اعمالهم. فغاب عنهم الحجه ليكون اعمالهم مستورا و يكونوا في راحة و استراحة بلا نصب و تعب بما لا يسئل احد عما فعل و عمل. و النهار في باطن الايه يوم قيام القائم( ع )و هي القيامه. يحشر الناس عن قبورهم و يبعثون لنقاش الحساب. فالليل في ظاهر الايه و باطنها متماثلان حيث جعلهما الله تبارك و تعالي لباسا يستر اعمالهم و احوالهم في طاعة او معصية و غير ذلك. ثم يقول في الايتين الثمانية و الاربعين و التسعه و الاربعين:

الایه،48- 49- و هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته و انزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا و نسقيه مما خلقنا انعاما و اناسي كثيرا…

فيذكر الحوادث في الليل و النهار. و الحوادث في ظاهر الايه هي الرياح و الطوفان في جو السماء. فلو كان السماء ساكتا صامتا بهوائه و فضائه و ضيائه لا يتحول عما هي عليه يكون ما فيها علي وجه الارض ايضا ساكتا صامتا، لا ينمو و لا ينبت و لا يتغير عما هي عليه. يسكن بسكون الرياح النباتات و الحيوانات و الاشجار و الانهار و غير ذلك ما علي وجه الارض. فلا ينبت النباتات و لا يثمر الاشجار. كذلك لا ينبت الانسان في حياته و عيشه فيكون ساكتا صامتا. فجعل الله تعالي الرياح بشرا بين يدي رحمته. لانه لا يظهر الغيث و المطر في فضاء و هواء ساكن و لابد لنزول الامطار من تغّير الهواء و ظهور الرياح. تطلع الشمس علي وجه البحار فيظهر من الماء البخارات الي السماء مع الهواء علي وجه البحار، فيخلو وجه النهار عن الهواء بما علت الهواء بحرارته الي السماء و الفضاء، فينقلب الهواء البارد مكان هواء الحاره ثم ينقلب الهواء الحاره الي مكان البارده مع السحاب فيها الي ارض يريد الله تعالي. ثم ينقلب السحاب و الهواء معها باردا، فينقلب السحاب امطارا. و لا يظهر السحاب الا بتغيير الهواء من الحر الي البرد او من البرد الي الحر. فيكون الرياح المنبعثه عن تغيير الهواء مبشرا برحمة الله تبارك و تعالي.

و كذلك الحوادث في حياة الانسان من السلامة و المرض و الصباوه و الشاب و الشيب و الصلح و الحرب و امثالها من الحالات المختلفه التي يكون الناس منها في تعب و راحة. و هذه الحوادث ايضا مبشرات يعلو بالانسان قدما قدما الي ظهور رحمة الله الواسعه و عيش الاخره بقيام القائم( ع ). فكما ان هبوب الرياح يهيئ الفضاء و الهواء لظهور المطر و هي رحمة الله، كذلك يهيئ الحوادث الانسان الي ظهور وعد الله الموعود. فلو سكنت الحوادث في حياة البشر سكنت الانسان، فلا يعلو بفكره و علمه و عمله ان يخرچ من عيش ضعيفة ضئيله ضيقه الي عيش واسع بارادة الله تعالي.

فهذه الحوادث من الصلح و الحرب و غيرها مبشرات يعلو بالانسان و يهيئه لظهور رحمة الله تعالي. فينقلب في ظل حكومته و حكومة الائمه ( ع )، يحصل له عيش هنيئة مريئه. ثم يقول في اية التسعة و الاربعين:

الایه، 49- لنحيي به بلدة ميتا و نسقيه مما خلقنا انعاما و اناسي كثيرا… يصف لنا خاصية الماء الطهور المنزلة من السماء. فبالماء حياة كل شيئ كما يقول تعالي: جعلنا من الماء كل شيئ حي… خلق الله تعالي الماء بكيفية يحمل روح الحياة فيحيي بها المواد المختلفه في التراب و ساير الجمادات و كذلك يُحيي بها النبات و الحيوان و الانسان. فحياة كل جماد و نبات بالماء. فاذا اورد الماء علي المواد احياه بروح يحمله، يسمي بقوة الجاذبه. و لو لم يكن الماء في الجمادات من الفلزات و غيرها لم يجذب موادها بعضها بعضا. و لذلك تري لايذوب الفلزات الا باخراج الماء عنها بالنار، و كذلك الاحجار. و لا يحيي بعد ذلك الا برشّ الماء عليها. فلا تري شيئا من الجمادات و النباتات و ساير الخلايق حيا الا بوجود الماء فيها. فتري كل شيئ يجذب الماء و لا يجذب شيئا غيرها.

فنسئل هناك سؤال و هو اذا كانت الاشياء لايحيي الا بالماء و جعل الله حياة كل شيئ بالماء، فبما يكون حياة الماء؟ هل الماء حي بذاتها فيحيي ساير الاشياء بها؟ او الماء ايضا يحيي بشيئ غيرها؟ فانا نري كل شيئ و شخص في العالم يصنع بالمادة الاولي و المادة في ذاتها يكون ميتا. و الماء ايضا كالهواء و ساير الاجسام اَُخذت من المواد و خلقها الله تعالي بموادٍ خلق ساير الاشياء بها. فخلق التراب بالماده و كل شيئ غيرها كذلك. فالمادة جنس مشترك في كل شيئ و شخص خلقها الله تعالي. فكيف يكون المادة في الماء حياة في ذاتها و لا يكون في الهواء و التراب كذلك، و هما مشتركان في جنسية الماديه ؟

فنقول فكما يكون الحياة في كل شيئ اثر تركيبي بتركيب المادة بالنور، يكون حياة الماء ايضا بالتركيب، و هي تركيب المادة بالنور. يسمي جعلا يعبّرون عنها بجعل الماهيه. يقول مولانا امام الباقر( ع )لا يقدر احد ان يجعل الشيئ شيئا الا الله تبارك و تعالي. فليست الماء حيا بذاتها بل يحيي هي كغيرها بروح الاستمساك الا ان الله تعالي جعل روح الاستمساك في مواد المائيه اكثر و اقوي من هذا الروح في الهواء و التراب و غيرها. فلا يكون احد حيا بذاتها الا الله تبارك و تعالي. و الحياة في وجود غيره تعالي اثر تركيبي يحصل بتزويج المادة بالنور و النور بالماده. فاذا تعلقت النور بالماده و جعل الله تعالي روح الحياة في ذات الماده يحيي مادة الماء و الهواء بهذا الجعل و يحيي بالماء غيرها، لان روح الحياة في الماء اقوي منها في الهواء و ساير الاشياء .

و الحياة في تاويل هذه الايه هي العلم و الحكمه في وجود الانسان، يحصل بالابتلاء و الحوادث. فجعل الله تبارك و تعالي الانسان في مسير الابتلاء، يصبه بالحوادث من الحر و البرد و السلامه و المرض و الحرب و الصلح مما يبتليه الله تعالي في عيشه و حياته كما يقول: و ان كنا لمبتلين… يقول مولانا علي( ع ): ان الله تعالي اعاذكم ان يجور عليكم ولكن لم يعذكم ان يبتليكم… ان الابتلاء حتم في حياة البشر و لا يتعلم الانسان علما و لا يكتسب عقلا و فهما الا بالابتلاء. فيحصل للانسان الحياة في مسير الابتلائات بتقدير الله تبارك و تعالي كما يقول: و اذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن….

و بعض الناس يقولون جعل الله تعالي الابتلاء في حياة البشر للامتحان، يعرف بتلك الابتلاء المومن في درجاتها و الكافر في دركاتها. فبعضهم يقولون ان كان الله تعالي يعلم كيف الانسان في حياته في درجاته و دركاته فكيف يمتحنه بالابتلاء ليميّزه بذلك، و هو عالم باحوال البشر قبل الابتلاء؟ و ان كان هو تعالي لا يعلم كيف حاله الا بالابتلاء و الامتحان فكيف يجوز لنا ان نقول لا يعلم الله تعالي عبده في حالات مختلفه و هو علام الغيوب. يعلم الحوادث قبل حدوثها كما يعلمها بعد حدوثها؟ فيقال في وصف علمه تعالي: علمه بالاشياء قبل الاشياء كعلمه بالاشياء بعد الاشياء... لا يزيد علي علمه تعالي من الازل الي الابد شيئ. فكيف لايعلم حال عبده قبل ان يمتحنه و قبل ان يميّز المومن من الكافر و يمحّصها؟ يقول في كتابه: و اذا بتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن و قال اني جاعلك للناس اماما… فان كان هذا الاستعداد في ابراهيم قبل الابتلاء فكيف لم يجعله اماما قبل ان يبتليه؟ و ان كان بعد الابتلاء و هو عالم بان هذا الاستعداد يحصل بعد الابتلاء، ابتليه او لم يبتله، فكيف يرتقي به الي الامامه؟

فنري ابتلاء ربنا في نفوسنا انه يظهر في نفوسنا العلم بالابتلاء ما لم يكن فينا قبل ذلك. فالابتلاء ملاك التعليم من الله تبارك و تعالي و التعلم من الانسان. ان الله تعالي يعلّم الانسان بالابتلاء و الانسان ايضا يعلم بالابتلاء. فكان الابتلاء زجر يزجر به الله تعالي الانسان ان يتحول عما فيه الي مقام لم يكن فيه فلا يتوقف في حالة واحده. فجعل الله تعالي للابتلاء اثرين. الاثر الاولي ان يتعلم الانسان بالابتلاء. يبتليه الله تعالي بحر و برد و فقر و فاقه و غني و حالات اخري، يتعلم بتلك الابتلائات العلوم المختلفه. يتعلم الفقر كيف هي و الغناء كيف هي و غير ذلك من اثار الابتلاء.

و الاثر الثاني ان الانسان اذا ابتلي بحادثه، يلتجئ الي ربه تعالي لرفع تلك الحادثه. فيرفعها الله تعالي عنه بعد الالتجاء، يكمل بذلك ايمان العبد و حبه لله تبارك و تعالي فيرتقي بالايمان و المعرفه الي الدرجات و المقامات. فلما ابتلي هو تعالي ابراهيم بحوادث من القائه في النار و أذي الكفار و غيرها، التجئ الي الله تعالي و سئله متضرعا ان يفرج عنه تلك الابتلاء. ففرّج الله تعالي عنه و كشف له ما به من الضر فاشتد ايمانه و علمه و يقينه و حبه لله تعالي الي ان نال اعلي درجات الايمان و استحق الامامه. فقال له تعالي اني جاعلك للناس اماما. و لم يكن في وجود ابراهيم العلم و الاستعداد و تقوية الايمان مما حصل بالابتلاء قبل هذه الابتلائات.

فالابتلاء بقدرة الله تعالي لرشد الانسان و تعليته الي درجات العلم و الايمان، يحصل له بذلك مقامات الاخره. فان التجأ اليه تعالي فهو عبد مومن مخلص في ايمانه، يعرف الله تعالي قادرا علي كشف الضر. و ان التجئ الي غيره تعالي يدعه حتي يعرف العبد بانه لا يكشف الضر الا الله تعالي. فيستغني بالله تعالي عن غيره فيخرج عن الشرك الي الايمان.

فالابتلاء مسير التعليمات و الارتقاء الي الدرجات و الكمالات. فكما ان الله تعالي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ينمو به النباتات و الحيوانات و غيرها، و لو لم يكن الرياح و سكن هواء الارض في مكانها و مظانها لا ينمو شيئ علي وجه الارض، ارسل الله تعالي الابتلائات في حياة البشر ايضا بشرا بين يدي رحمته، يرحم بذلك عبيده، يرقوا الي الدرجات و الكمالات فيُنميهم و يُثمرهم بالايمان و التقوي، يفيض عليهم رحمته ما يشاء.

ثم يذكر فائدة اخري من الماء يقول: و نسقيه مما خلقنا انعاما و اناسي كثيرا… يعني نسقي بالماء العطشان من الحيوان و الانسان. فللماء فائدتين عظيمتين في الطبيعه، ينمو بها الجمادات و النباتات و الحيوانات فيحيي بها و يسقي بها الحيوانات. و تاويل المياه المنزلة من السماء هي العلم و الحكمه يحيي بها قلوب الميتته بالجهل فيعلم بعد ما لم يكن يعلم. فكما ان الابدان يموت بفقدان الروح كذلك القلوب يموت بفقدان العلم و الحكمه و كما ان الابدان يحيي بماء ينزل من السماء كذلك القلوب يحيي بعلم ينزل من سماء الولايه، و سماء الولايه جهة فيها الله تبارك و تعالي و الائمة المعصومون( ع )، و العالم بمنزلة السماء و المتعلم بمنزلة الارض. المعلم يفوق المتعلم فائقة وجوديا لا زمانيا و مكانيا. و السماء المنزل منها الامطار يفوق الارض فائقة مكانيا. فالسماء في جهة فوق الارض و الارض في جهة تحت السماء و السماء في مكان و الارض في مكان اخري. ولكن السماء المنزلة منها العلم هو الله تبارك و تعالي و اوليائه، تفوقون المتعلم تفوقا وجوديا. فالله تبارك و تعالي يفوق الانسان بوجوده من غير ان يكون في مكان و الانسان في مكان اخري،كما يقول: انه يحول بين المرء و قلبه… فالتفوق الوجودي غير تفوق المكاني و الزماني. التفوق الوجودي بمعني احاطة وجود بوجود اخري في ظاهره و باطنه، لا تجد في المُحاط مكانا لا يكون المحيط فيها. فالله تبارك و تعالي تفوق العوالم و العلماء تفوقا وجوديا بمعني المحيط و المحاط. فالسماء المنزلة منها العلم لا يكون بمثل السماء المنزلة منها المطر. فلا تجد اية في كتاب الله يحكي عن حياة الارض و ما فيها بماء المطر الا و اُوّلت بحياة القلوب ينزل عليها العلم و الحكمه، كما يقول الله تعالي يخاطب نبيه: و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان… و هذا روح العلم ينزل من قبل الله تعالي علي قلب النبي و لا يكون بين المنزل منه و المنزل اليه فاصلة و لو بمقدار ضعيف جدا. فهذه الايه اولت بنزول العلم من قبل الله تعالي يسقي بها العلماء يعرّف فيها بالانسان، و العوام الجهلاء يعرّف فيها بالانعام. ثم يقول:

الایه، 50- و لقد صرفناه بينهم ليذّكروا فابي اكثر الناس الا كفورا…

و التصريف في هذه الايه بمعني التغيير، يخبر عن حكمة التغييرات في مواليد الطبيعه من الجمادات و النباتات و الحيوانات و مواليد طبيعة الانسان. لا يدع الله تعالي في مواليد الطبيعة و وجود الانسان شيئا ساكتا صامتا لا يتغير عما عليه فتكون كالاموات، بل الله تعالي يغير كل شيئ عما هي عليه. فيتغير المواد الي الجماد و النبات و الحيوان و الموت و الحياة و فصول المختلفه. لا تري في العالم من شيئ ساكت صامت لا يتغير عما هي عليه. فتري الشمس تطلع و تغرب و الهواء تستضيئ و تظلم و الارض كذلك يتقلب بالليل و النهار. كذلك كل شيئ يتغير عما هي عليه من النقص الي الكمال او من الكمال الي النقص، من الموت الي الحيات و من الحيات الي الموت، يتغير بالالوان و الفوائد و المضار و غيرها.

و تري كذلك الانسان متغيرا في بدنه و روحه من ضعف الي قوه و من قوة الي ضعف و من لون و حال الي لون و حال اخري. كل هذه التغييرات في العوالم انما يقع للتذكر و التعليم. فيعلّم الله تبارك و تعالي الانسان بهذه التغييرات، يفيض اليه نعمة من نعمه و يسلب عنه، يجعله بين النفي و الاثبات في كل خير ينزل اليه. يقول مولانا ابو عبد الله الحسين( ع )، يصف حكمة التغييرات و التغيّرات: الهي علمت باختلاف الحالات و تنقل الصفات ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شيئ حتي لا اجهلك في شيئ... يناجي ربه يحكي في نجواه حكمة التغييرات و هي التعريفات. يعرّف الله تعالي نفسه بهذه التغييرات الي عبده المومن. فيقول: فابي اكثر الناس الا كفورا… يحكي عن الانسان بانه لا يتذكر عظمة ربه بهذه التذكيرات و التعريفات و يكفر بربه و يكون كفورا. ثم يقول:

الایه، 51- 52- و لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين و جاهدهم به جهادا كبيرا…

فيذّكر لرسوله( ص )بانه يقدر ان يبعث لكل قرية نبيا و رسولا يكون مامورا بهداية اهلها، و كذلك لكل قرية من القري في العالم. و لو فعل الله تعالي ذلك لخفّ علي كل رسول اعباء الرساله و اشتغاله بهداية اهل القري و هذا مثل ان يكون رسولا مامورا بهداية عشرة قريه من القري او بهداية واحده منها. فيخفّ عليه هداية قرية واحده و يثقل عليه هداية عشرة او اكثر. فان الله تعالي جعل رسوله( ص )خاتم النبيين و رحمة للعالمين و امره ان يدعو الناس كافة الي دين الله تعالي و لعله يكون ثقيلا علي رسوله ان يكون رسولا لكافة الناس من العالمين.

يقول له لو شئنا نقدر ان نرسل علي كل قرية نذيرا و انت نذيرا لاهل المكه فقط، ولكن الله تعالي اراد ان يجعلك نبيا و رسولا لكافة افراد البشر الي يوم القيامه، فيجعل لك مقاما محمودا في الاخره. فيهيئ الله تعالي رسوله ان ياتي الناس بدين كامل كالشمس الضاحيه تطلع علي كل افراد البشر من الاولين و الاخرين. فيامره في الايه بعد ذلك يقول: فلا تطع الكافرين و جاهدهم به جهادا كبيرا… يامره بالجهاد الكبير ان لا يكون كافر علي وجه الارض الا ان يكون مسلما ليظهر دينه علي الدين كله و لو كره المشركون. ثم يقول:

الایه، 53- هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج و جعل بينهما برزخا و حجرا محجورا.

فيذكّر نبيه( ص )بان الله تبارك و تعالي جعل خلقه متفاوتا مختلفا في خلقتهم ليعرف بهذه الاختلاف بعضهم بعضا، و لو كانوا خلقا واحدا من طينة واحده و علي عمل واحد من غير اختلاف لا يُعرف بهذه الوحده دون الاختلاف الحق حقا و الباطل باطلا و هذا كما قيل: يعرف الاشياء باضدادها. و جعل الله تعالي لكل شيئ ضدا. جعل الحرارة مكان البروده و البروده مكان الحراره و النور مكان الظلمه و الظلمه مكان النور و كذلك جعل لكل شيئ ضدا ليعرف الحر بالبرد و البرد بالحر و الجهل بالعلم و الحمره بالصفره و الصفرة بالبياض و غير ذلك. و جعل الناس كذلك في اقوالهم و اعمالهم و عقائدهم مختلفين متفاوتين في صفاتهم الحسن و القبيح، بعضهم شر و بعضهم خير و عالم و جاهل و خشن و ليّن و غيرذلك من الاختلافات و قدر الله تعالي هذه الاختلافات في الجامعه ليعرف الايمان بالكفر و الكفر بالايمان و العقل بالسفاهه و العلم بالجهل و كل خير بالشر كما يقول مولانا ابو عبد الله الحسين( ع )، يعلّمنا حكمة الاختلاف: الاهي علمت باختلاف الحالات و تنقل الصفات ان مرادك مني ان تتعرف اليّ في كل شيئ حتي لا اجهلك في شيئ... فلو وقعت الناس في حالة واحده في ابتداء الخلقه الي انتهائها لم يكونوا يعلمون الخير و الشر و النور و الظلمه و العلم و الجهل و غيرها. فيقول تعالي: مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج و جعل بينهما برزخا و حجرا محجورا…

و اعلم ان الاختلاف في العالم علي قسمين: اختلاف في العالم غير الانسان و اختلاف في عالم الانسانيه. و هذا الاختلاف مجعول بيد الله تبارك و تعالي ليعلّم الناس حقيقة الحقايق. فلو لم يكن الظلمة في العالم لايعرف الظلمة و النور و كذلك لو كانت الحيوانات علي شكل واحد و طبيعة واحده، كلهم اسد او غنم او ذئب و غير ذلك، لم يعرف كيف الانسان و كيف الحيوان و لم يعرف الصفات في الحيوان و الانسان. فالاختلاف في الموجودات لتعليم الناس كالاختلاف في الكلمات و العبارات. فتري الحروف و هي اصل الكلمات، مختلفات في الشكل و الاصوات التي تخرج بها. فالالف غير الباء و الباء غير الجيم و... شكلا و صوتا حدث بها. و الكلمات كذلك بهذا الحروف مختلفات في الشكل و الاصوات التي حدث بها. فلو كتبت في الكتاب كلها الفا فقط او بائا او جيما لا يعرف الالف بالالف و الباء بالباء و... بل يعرف كل شيئ بغيرها. فالعالم في خلقتها كتاب تكويني خلقها الله تعالي من اصول مختلفه و حقايق متفاوته. ضادّ النور بالماده و المادة بالنور و الحر بالبرد و غيرها من الاختلافات، و خلق الانسان و جعل فيه العلم و العقل و ابتلاه بكل شيئ خلق في العالم ليرتقي بهذا الاختلافات الي درجات العلم و الحكمه. فلو خلق العالم علي شكل واحد و اثر واحده لم يخالف شيئ شيئا، لم يكن الانسان ليعلم في العالم شيئا. يقول الله تعالي: و اذا بتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن فقال اني جاعلك للناس اماما… و الابتلاء في تقدير الله تعالي لظهور العلم و الحكمه من طريق الابتلاء. فانه تعالي لايبتلي الانسان ليعلم بهذا الابتلاء انه خير او شر او مومن او كافر بل ليعلّم بهذا الابتلاء عبده كيف الخير و الشر و الحر و البرد و غيرذلك. فانه تعالي عالم بما كان و ما يكون و ما هو كائن قبل ان كان و يكون. علمه بالاشياء قبل الاشياء كعلمه بالاشياء بعد الاشياء. فلا يكون الابتلاء في الخلايق بمعني الامتحان ان يعرف عباده بل كلها لتعليم العباد. فانه يجب علي الانسان ان يعرف المعاني قبل ان يتكلم او يعرف الالفاظ.

و هناك بحث يقال هل يعرف المعاني بالالفاظ و الكلمات، او يعرف الكلمات بالمعاني؟ أ انت تعرف الحرارة في العالم بكلمة الحراره او تعرف كلمة الحرارة بوجود الحراره في العالم ؟ فلو لم تذق الحرارة و البرودة او لم تري الشمس و القمر لايمكن لك ان تعرف الشمس و القمر في العالم بهذه الكلمات. فيقال الكلمات يعرف بالمعاني و لو لم يعرف المعاني لم يعرف الكلمات و لم يتلفظ بها احد. فاول المعلم هو الله تبارك و تعالي. يذيقك الحر و البرد و يريك السماء و الارض و النجوم و الكواكب ثم يقول هذا حر و هذا برد و هذا شمس و قمر. فتعليم الله تبارك و تعالي من طريق الحقايق و الخلايق، و تعليم الانسان انما هي بالالفاظ و الكلمات. فالمعاني اصل للتعليم و التربيه، و الكتب و الكلمات و العبارات فروع يتفرع بها علي هذه الاصول. و لذلك يرشدك الله تبارك و تعالي بقرائة الايات في كتابه ان تترك القرائة و تاخذ بالتلاوه .

و التلاوة ان ياتي بالمعاني تلو القرائه او تشير بالقرائة الي المعاني. فيقول الله تعالي: أو لم يتفكروا في خلق السماوات و الارض… و ما اكثر الكلمات في كتابه ( افلا تتفكرون، أفلاتتدبرون، أفلاتتذكرون )كلها ترشدك ان تدع هذا الكتاب الذي تقرئه، و تتفكر في خلق الخلايق. فانّ الخلايق و المناسك هي التي يهديك الي ربك و الي ما خلق ربك في العالم. فلا يُعرف الله تبارك و تعالي الا بالخلايق. فمن عرف الخلايق كما هي يَعرف بها الخالق، و من لم يعرف الخلايق لا يعرف الله تبارك و تعالي. فتري الانبياء و افضلهم محمد صلي الله عليه واله، تعلّم العلم في الفلوات بالجمادات و الاشجار و الحيوانات. تريه لم يقرء كتابا و لم يتكلم بكلمة و لفظ. كذلك لا يكلمه الله تبارك و تعالي بكلمات و الفاظ بل أريه ما خلق في العالم و العالمين. أريه الشمس و يقول هذا شمس و اريه كيفية خلق الشمس و القمر. كذلك اريه الكواكب و علّمه حكمة خلق الكواكب و النجوم و غير ذلك. فعلّم رسوله بارائة الحقايق و الخلايق علم ما كان و ما يكون و ما هوكائن الي يوم القيامه. فاخرج الي الناس هذا القران و لم يكتب كلمة و لم يتلفظ بلفظ. يامر الناس ان يكتبوا القران و هو بنفسه لايقدر ان يكتب كلمة او اية من الايات. يصفه الشاعر المعظم الحافظ الشيرازي بقوله:

نگار من كه به مكتب نرفت و خط ننوشت به غمزه مسئله آموز صد مدرس شد

فعَلِم العلوم كله من غير ان يتكلم بكلمة او يكلّمه الله تعالي بلفظ و عباره. يقول الله تعالي في كتابه: فاحكم بين الناس بما أريك الله... فالتعليم من الله تعالي انما هي بارائة المعاني و الحقايق، لا بتكلم الالفاظ و العبارات و غير ذلك.

فأصل الكتاب في العالم هو الكتاب التكويني يعني ما خلق الله تعالي في صفحات العالم، و هي الكتاب الذي يقول: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين… فلو عرفت الخلق كما هو، تعرف الخالق ايضا كما هو في ذاته و صفاته. فجعل الاختلاف في ظهور الخلايق ليعلّمه كيف الخلق و كيف الخالق و كيف النور و كيف الظلمه و كيف الملائك و الانسان و الحيوان و غيرذلك. فالاختلاف في الخلايق انما هي بارادة الله تعالي. خلق كل شيئ بما يخصّه من الصفات و الغرائز و غير ذلك. خلق الكلب و الذئب و الابل و الغنم و غير ذلك بارادته. ثم الاختلاف في صفات الانسان انما هي بايديهم لا بيد الله تبارك و تعالي.

فخلق الله تعالي الانسان حرا مختارا ذو ارادة و مشيه، يفعل ما يريد و يحكم بما يشاء. و ان الله تعالي يعطي كل ذي فضل فضله. فيعلّم العلم طالبَ العلم و يقسّم المال علي كل احد بمقدارٍ يريده و يطلبه. و هكذا يقول في سورة الكهف: من شاء فليومن و من شاء فليكفر... فجعل تبارك و تعالي مشيته كما يشاء للانسان بعد ما يشاء الانسان لنفسه. فلو شاء الانسان ان يعلم علما يعلّمه الله تعالي و لو اراد طلب مال او كسب قدرة يجعل الله تعالي بيده المال و الثروه و يقدّره علي ما يشاء و غير ذلك. فيخبر انّ بعض الناس عملوا و ارادوا ما يشائون علي مشيتهم و ارادتهم، و اخبر انه تعالي: خلق الانسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار. فهذه الاختلاف في خلقة الجان و الانسان انما يظهر في الناس علي طبق ارادتهم و مشيتهم لا علي طبق خلقتهم و طبيعتهم. فان الناس من الجن و الانس و المومن و الكافر و غير ذلك ممن يكون من اولياء الله او اعداء الله خلقوا في رحم امهاتهم علي نهج واحد و طبيعة واحده، كما يقول تعالي: لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين… فهم في خلقتهم الاولي في رحم امهاتهم خلقوا علي احسن تقويم. كل واحد منهم لو دار في اعماله مدار خلقته في رحم امه ينقلب مومنا صالحا تقيا نقيا وليا من اولياء الله. ولكن الله تعالي جعلهم حرا مختارا يعملون بارادتهم. فبعضهم يطلب الشر فينقلب في ذاته شرا و بعضهم يطلب بارادته خيرا ينقلب في ارادته و عمله من اهل الخير. فيشبّه من يطلب شرا بارادته بالنار و من يطلب خيرا بارادته بالتراب. فان التراب في صنعته عادل متعادل، يربي كل شيئ اُلقي فيه كما يربي بذر النباتات و الاشجار و غير ذلك، ولكن النار في طبيعته شرٌ يُفني و يُحرق كلما القي فيه. لا يعلم الشر من الخير و لا الخير من الشر و غير ذلك . فالجن و الكفار في تربيتهم ناري يصلون بارادتهم و مشيتهم نار الجحيم. فلا يكونون مما صنعوا و فيما صنعوا غائبين. كما يخبر الله تعالي: يصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين… فهم يبتلون بما صنعوا من القوي الناريه في دنياهم و اخرتهم. فالبشر في حياتهم ينقلبون في علومهم و تفكراتهم و عقايدهم بحرا اجاجا او عذبا فراتا. فالبحر الاجاج هم الكفار و الشياطين. ينقلبون فيما يعلمون و يعملون بحرا اجاجا. يعذبون البشر بما يقولون و يعملون. فلاتري احدا من الكفار يري احدا من بني نوعه يريد له خيرا بما يقول و يعمل. فهم في الجامعة كالذئاب في الاغنام. لايري غنما الا يصول عليها و يفترسها و ياكلها. كذلك الكفار في اجتماعاتهم لايريد انسانا لانسانيته بل يريد استثمارا به و استخداما له لما يريد من المنافع فيه. لايريد ابنه ليحبه و يخدمه فيحييه بل لاستخدامه في منافعه ومضاره. فكل قوي منهم يستخدم الضعفاء لجلب منافعه و كل ضعيف منهم ينقلب خادما و رقا للاولياء. فهم في حياتهم و معاشهم بحر اجاج. لاتري منهم و فيهم عالما ينفع الناس بعلمه و حكمته بل يريد ان ينتفع بعلمه و حكمته و يجعل الناس رقّا له بما يعلّمهم و يربّيهم. فعلمهم وحكمتهم بحر اجاج .

لكن المومنين ليسوا كذلك. فهم في علومهم و معارفهم عذب فرات سائغ شرابه. لا يعلّمون احدا الّا لينتفع الناس بتعليمه لا ان ينتفع منهم بتعليمه. فيعلّم الناس ليكونوا حيا قادرا قاهرا. لا يستفيض من الله تبارك و تعالي فيضا من العلم و الحكمه الا و يفيضه علي الناس. فهم يريدون للناس ما يريدون لانفسهم و يكرهون لهم ما يكرهون لانفسهم. كما تري الانبياء و المومنين يتعبون انفسهم ليكون الناس في راحة و عزه. لا يمنّون علي احد بما ينفقون عليهم من المال و الثروه و التعليم و التربيه. فهم في انفاقاتهم و تعليماتهم كريم كما يصفهم الله تعالي يقول: ان عليكم لحافظين كراما كاتبين… يحفظون الناس بتعليماتهم ان يقعوا في جهل و سفاهه، بل يعلّمونهم كيف الحياة، يحييهم بتعليماتهم. فالكافرون بتعليماتهم ملح اجاج و المومنون في تربيتهم عذب فرات. و البرزخ بين هذين البحرين هي نور الايمان و ظلمة الكفر.

فالكفار في وجودهم ظلمات في بحر لجي اجاج يغشيه موج من فوقه موج. ينقلبون في عيشهم و حياتهم في مشقة و زحمه. و المومنون هم الذين يستضيئون بنور الله، يحبون بعضهم بعضا كما يحبون انفسهم. يذيقون ابنائهم و اخوانهم و عشيرتهم باخلاقهم و علمهم و تربيتهم مائا عذبا فراتا سائغ شرابه .